الفصل الثاني

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

الغرب والعالم الإسلامي

١٩٧٩ – ١٩٩٢

ـ سقوط المعسكر الاشتراكي.

ـ الثورة الإسلامية الإيرانية ١٩٧٩م.

ـ حكومة الإمام الخميني.

ـ النار تشتعل في الخليج "١٩٨٠- ١٩٩٢م.

ـ الحرب الإيرانية العراقية "١٩٨٠- ١٩٨٨م".

ـ الحرب العراقية الكويتية "١٩٩٠- ١٩٩٢م".

ـ التحالف الاستراتيجي الأوروبي في مواجهة الإسلام.

ـ تصادم العقل الوافد مع الواقع الإسلامي.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني

الغرب والعالم الإسلامي

١٩٧٩ -١٩٩٢م

اتجه الإعلام الأوروبي الأمريكي والصهيوني إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين منذ مطلع القرن العشرين، وتجسدت تلك الرؤية الإعلامية في أن شعوب العالم الإسلامي غير متحضرة ودموية وغير منطقية، وتبلور الموقف السياسي على تكوين ثقافة الكراهية ضد العالم العربي والإسلامي ونجح الصهاينة والمتصهينون في أوروبا في تقييم سلوكيات العالم العربي والإسلامي وفقاً لمفاهيم مسبقة، وأعدوا الخطط الاستعمارية لنهب ثرواتنا.

وللصهيونية العالمية دور كبير، بحيث جعلت نفسها بواسطة أشياعها في الغرب، أن تكون "إسرائيل" هي مصدر المعلومات عن الأقطار العربية، والبلاد الإسلامية المجاورة لها، واقتضى الحال أن تكون "إسرائيل" مصدر التحليلات والتعليقات على الأوضاع السياسية والاجتماعية لهذه الأقطار، وعلى ما يجري فيها من أحداث، وعلى تطور الصراع بينها وبين إسرائيل – ربيبة الغرب ـ (فقد قرر مركز شيلوح لدراسات الشرق الأوسط وأفريقيا – التابع لجامعة تل أبيب – إصدار مجلة سنوية بالتعاون مع دار نشر هولمز وميئير في نيويورك بعنوان "مسح شؤون الشرق الأوسط المعاصر"[1].

---

1)The Middle East Contemporary Survey, Holmes and Meier Publishers, Newark.
نقلاً عن : د. محمد توفيق حسين : الإسلام في الكتابات الغربية – مجلة عالم الفكر "دراسات إسلامية" ، وزارة الإعلام – الكويت – ١٩٨٤م،ص٢٣.

obeikandl.com

ويشير "ريتشارد نيكسون"[1] إلى أن بعض المراقبين يحذرون من أن الإسلام سوف يصبح قوة "جيو بوليتيكية" متطرفة وأنه مع التزايد السكاني إضافة إلى الإمكانيات المادية المتاحة سوف يشكل المسلمون قوة خطيرة، مما يجعل الغرب أن يتحد مع موسكو لمواجهة العالم الإسلامي.

هذه هي النظرة الأوروبية بعد سقوط المعسكر الاشتراكي، وأصبح المفهوم السياسي الجديد بأن الغرب والإسلام متضادان، وأن المسلمين يوحدون صفوفهم للقيام بثورة ضد الغرب بحكم المنظور السياسي الإسلامي الفقهي بتقسيم العالم إلى قسمين "دار الإسلام" و"دار الحرب" وعلى الغرب أن يتحد مع الروس لمواجهة هذا الخطر الداهم.

هذه الرؤية السوداوية للعالم الإسلامي، ولدت رد فعل لدى بعض الاتجاهات الإسلامية، و بدأت الدراسات الأوروبية تعمل على إيجاد ثغرات يمكن من خلالها تقسيم العالم الإسلامي ووجدوا ضالتهم في المذاهب السنية والشيعية والصوفية، لذلك يرى نيكسون[2] أن هذه الطوائف التي يبلغ طول أضلاعها عشرة آلأف ميل، وتمتد من مراكش إلى يوغسلافيا، ومن تركيا إلى باكستان، ومن جمهوريات آسيا الوسطى في روسيا إلى أندونيسيا، كما يوجد مسلمون في الصين أكثر مما هو موجود في شبه الجزيرة العربية

---

1) ريتشارد نيكسون : الفرصة الأخيرة "ترجمة : أحمد صدقي مراد"، القاهرة، دار الهلال، ١٩٩٢، ص١٣٥.

2) ريتشارد نيكسون : الفرصة الأخيرة، مرجع سابق، ص١٣٦ : ويشير المرجع إلى أن المنطقة العربية بوجه خاص فيها دول عدوانية كالعراق وسوريا وليبيا، وأنها تمتلك أكبر كم من السلاح في عالم الدول المتخلفة، وأنفقت هذه الدول حوالي ٨٪ من دخلها القومي على التسليح في حين كان إنفاق الدول الغربية أقل من ٥٪ إضافة إلى ذلك أصبحت المنطقة مركزاً لأسلحة الدمار الشامل والصواريخ المدمرة، وتمتلك تسع دول إسلامية نامية من مجموع خمسة عشرة دولة نامية صواريخ بعيدة المدى، وخطت العراق وباكستان خطوات كبيرة نحو صنع سلاح نووي.

كلها.. وتعداد المسلمين في إندونيسيا أكبر من تعداد المسلمين في الشرق الأوسط، وتعداد المسلمين في الاتحاد السوفييتي السابق يبلغ حوالي خمسين مليون مسلم، كما أن التنافس بين دول العالم الإسلامي جعله بؤرة للصراعات، كما هو الحال في الصراع الحدودي بين دول العالم العربي، والصراع المذهبي بين السنة والشيعة، وأضف إلى ذلك أن معظم هذه الدول مصطنعة من عدة قوميات أو أجناس مختلفة، فقد سادت المنطقة حروب أهلية كلبنان واليمن والسودان والجزائر.

وتحكم الدول الإسلامية أنظمة معظمها دكتاتورية قائمة على السيطرة العسكرية بدلاً من الانتخابات الحرة، وقد أدى التحرر السياسي في بعض الدول الإسلامية إلى التفكك بدلاً من الديمقراطية، تقودنا هذه الرؤى إلى تتبع عناصر تقويم التعايش بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي على ضوء المعطيات التاريخية المعاصرة لنتمكن من توضيح المفاهيم على حقيقتها.

سقوط المعسكر الاشتراكي:

كانت السياسة الأمريكية معنية بإسقاط المعسكر الاشتراكي وبوجه خاص الاتحاد السوفييتي، ومنذ عهد الرئيس الأمريكي "ترومان" ١٩٤٥-١٩٥١م اتجهت الحرب بين المعسكرين على شكل حروب محلية في البلقان وفي إيران، وفي كوريا.. وبمجيء الرئيس الأمريكي "إيزنهاور" إلى الحكم ١٩٥٢ - ١٩٦٠م اتخذ سياسية أسلوب الردع النووي الشامل، وجاء كيندي عام ١٩٦١ - ١٩٦٣م من بعده واتخذت إدارته سياسة سباق التسلح، ويشير "هيكل"[1] إلى أن "ماكنمارا" وزير الدفاع في عهد "كيندي" وضح في محاضرة له أمام أساتذة كلية الدفاع الوطني في واشنطن "١٤ سبتمبر ١٩٦١م" بقوله : علينا أن نرغم الاتحاد السوفييتي على تغيير أولوياته، كون

1) محمد حسنين هيكل : حرب الخليج، أوهام القوة والنصر، القاهرة، الأهرام، ط١، ١٩٩٢م، ص٩.

النظام الشيوعي يعد جماهيره بمجتمع من الرفاهية ينتهي فيه الفقر، ومجتمع خال من التمايز الطبقي.

ومن الملاحظ أن جذور النظرية الشيوعية تعود إلى المراحل التاريخية السابقة لمرحلة التطور الصناعي في أوروبا الغربية، وقد اعتمدت على فكرتين أساسيتين هما "المادة وحتمية التطور" فالمادية الديالكتيكية تشكل المنطلق الأساسي للشيوعية الماركسية الكلاسيكية[1].

اعتقد "كارل ماركس" المنظر للفكر الشيوعي أن نهاية النظام الرأسمالي ستتم خلال الصراع بين طبقتين "البرجوازية والبروليتاريا" ـ القوى العاملة ـ وكانت الثورة الصناعية في القرن ١٩م في أوروبا تحمل جملة من التناقضات، وهي التي أوحت لماركس بأن الثورة الدموية تشكل الحل الوحيد لإنهاء الأنظمة الرأسمالية[2].

ويبدو أن فكرة الشيوعية لم تنجح بتحقيق المظاهر الثورية، إلا في البلدان المتخلفة صناعياً والتي لا تسمح بنهوض التطور الصناعي كروسيا ومن ثم الصين، في ذات الوقت لم تحقق الأفكار الماركسية أي دور في الدول المتقدمة اقتصادياً.

واختلفت الصورة في مضمون الفكر الماركسي، فإنجلترا كانت تعاني من أوضاع متردية بعد الحرب العالمية الأولى، وتبدلت تماماً بعد ماركس.. وأصبح الفقر مستشرياً بشكل مروع ومثير للرهبة والفزع في روسيا والبلقان وآسيا[3].

وأصبحت ديكتاتورية البروليتاريا هي ديكتاتورية الطبقة الجديدة، فانتشر الفساد نتيجة تمركز السلطة في أيدي فئة سياسية حزبية معينة،

---

1) ميلوفان دجيلاس : الطبقة الجديدة، بيروت، دار الكاتب العربي، ط (بدون)، ص٢٠.

2) نفس المرجع : ص٢٣.

3) المرجع نفسه : ص٢٦.

وكانت تقرر أخطر القضايا المصيرية في الدولة على مأدبة عشاء في أجواء حميمة أو خلال رحلة صيد أو في نطاق محادثات بين رجلين أو ثلاثة رجال[1]. وكان "ستالين" يعتقد بأن كل تراجع عن ديكتاتوريته إنما هو تراجع عقائدي، وكان لينين قد حاول صياغة طبيعة الدولة بشكل مصطنع. لذلك دعا لينين لتدمير الجهاز القديم للدولة عن طريق استخدام الثورة الدموية والقوة.

لذلك ما إن حل العهد الستاليني حتى اختفت إدارة الموظفين القدامى وحل محلهم إدارة شيوعية جديدة تعتمد على لوائح الكوادر الحزبية.

لقد قام نظام الاتحاد السوفييتي على مبدأ "الحتمية" المستعار من العلوم الطبيعية بغروب القرن ١٩م وتجاوزته تطورات العلوم في الربع الأول من القرن العشرين، فضلاً عن أن "الحتمية" لم تقم بتغيير المفاهيم الاجتماعية والسياسية والثقافية في المجتمعات البشرية وحركاتها التاريخية، ومع ذلك انصرف الماركسيون للتأكيد على النجاحات الاقتصادية للاشتراكية، فلما فشلت التجربة الاقتصادية السوفييتية في تحقيق رفاهية شعبية بسبب ضخامة الاستثمارات العسكرية، كان لا بد أن تنهار المنظومة الاشتراكية كلها.. و يشير بعض الباحثين [2] إلى أن تمسك الحزب باحتكار السلطة والعمل السياسي وفرض دوره القيادي على الجميع بقوة القانون كنظام داخلي للحزب الذي أدى إلى تحويل قياداته إلى طغاة وبيروقراطيين، وتميزوا بمزايا طبقية، وانفصلوا عن الشعب وارتبطت مصالحهم بالأوضاع المجمدة، أدى أخيراً إلى الانهيار.

---

1) المرجع نفسه : ص١١٧.

2) نبيل زكي : أحداث الاتحاد السوفييتي وأثرها على الخريطة السياسية العالمية، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، تصدر عن مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، العدد (٥)، شتاء ١٩٩٢م،ص١٧.

وكان النظام السوفييتي السابق قد أحاط نفسه بسياج أمني قوي، وبرز الاتحاد السوفييتي كدولة عظمى تمتلك القوة النووية وأصبح يمثل القطب الثاني في العالم، وبدأت العلاقات بينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية، التي تمثل القطب الآخر في العالم تتميز بمسارات أربعة أطلق عليها مسميات ساسية، كالحرب الباردة والتي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية وحتى أواخر إلخمسينات حيث سادت فلسفة حتمية الصراع الشامل بينهما بالأدوات العسكرية دون الوصول إلى إشعال الحرب العالمية الثالثة، واتبعت واشنطن سياسة تطويق الشيوعية العالمية بالأحلاف، لذلك وجد الحلف الأطلسي الذي يضم المعسكر الغربي وآخر سمي بحلف "وارسو" يضم المعسكر الاشتراكي.. وتم ذلك بعد مؤتمر يالطا الذى جرى فيه تقسيم أوروبا إلى نفوذ.. ومنذ أواخر إلخمسينات حتى أواخر الستينات برز مفهوم التعايش السلمي، وتميزت بالتراجع عن حتمية الحرب العسكرية بين القطبين، والتنافس المصلحي السلمي في نطاق العالم الثالث، وكانت البداية هي قدرة الاتحاد السوفييتي على اللحاق بالولايات المتحدة الأمريكية في مجال التسلح النووي العابر للقارات، وأدى ذلك إلى نشوء ما يسمى بتوازن الرعب النووي.. ثم برز مفهوم الوفاق الدولي منذ أواخر الستينات وحتى أواخر السبعينات من القرن الماضي اتخذت سياسة المفاوضة بدلاً من المواجهة، ومارست الحوار والتنسيق وصفقات غير معلنة في القضايا الدولية المصيرية، وعلى رأسها قضية التفاوض الثنائي المباشر ما بين الدولتين في موضوعات الحد من التسلح النووي، وساد التعاون التكنولوجي والاقتصادي بين المعسكرين "أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية".

وفي أواخر السبعينات عادت الحرب الباردة من جديد، وفي هذه المرحلة قام السوفييت بغزو أفغانستان، وبدأ الصراع بين القطبين الأمريكي والروسي على أرض أفغانستان، وجندت الولايات المتحدة الأمريكية كل

إمكانياتها بما في ذلك فرضها على الدول العربية التي تسير في ركابها الدعم العسكري من خلال تجنيد متطوعين من المملكة العربية السعودية، ومصر، واليمن، والأردن لمواجهة الغزو الشيوعي بأفغانستان، وتم تدريبهم على أيدي خبراء أمريكيين، وبرز إلى الساحة أسلوب إعلامي موجه وغريب على الفكر المعاصر والفكر الإسلامي بوجه خاص.. وتم طبع النشرات والكتيبات التي تتحدث عن معجزات لم تحدث في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وتقبلها المراهقون الصغار والعامة من الناس.. ونجحت المعارك الضارية ضد الروس بانتصار المقاومة المحلية والعربية المشاركة.. وانسحب الجيش السوفييتي من أفغانستان منكسراً، وظهر فيما بعد ما سمي بعرب الأفغان، ودارت الدائرة عليهم من قبل الأمريكان وعملائهم من الحكام العرب وأصبحوا يشكلون نموذجاً عدوانياً للسياسة الأمريكية الاستعمارية التوسعية.

وكان البديل للحزب الشيوعي بأفغانستان تيار إسلامي عرف بجماعة "طالبان" وهم مجموعة من الشباب الذين كانوا يتلقون العلوم الإسلامية في باكستان.. ودعمتهم باكستان كثيراً لزحزحة ما تبقى من الفلول الشيوعية والجماعات الشيعية المدعومة من إيران، ونجحت طالبان في الاستيلاء على السلطة، وكانت أفكارهم سلفية راديكالية، وعادوا بالبلاد إلى القرون الوسطى.

أما الاتحاد السوفيتي فقد برز فيه زعيم أكاديمي هو "غوربا تشوف"عام ١٩٨٥م، وكانت أفكاره بمثابة زلزال عنيف عصف بدعائم وإدارات نظام القطبية الثنائية الدولي، وتمثل مشروعه السياسي بالمقايضة السياسية وهي تنازل السوفييت عن وضعية القطبية الكونية ويسقط من حساباته الاستراتيجية السياسية كلاً من الأيديولوجية الشيوعية والتسابق على التسلح

النووي مقابل تقديم أمريكا للسوفييت متطلبات التنمية الاقتصادية والتقدم التكنولوجي الفني في الصناعة والزراعة.

ويشير أحد الباحثين [1] إلى أن مؤتمر مالطا المنعقد في الفترة من (٣إلى ٥ ديسمبر ١٩٨٩م) أوضح الصورة الكلية للوضع السياسي المتأزم للاتحاد السوفييتي، وذلك لأن المؤتمر قد انعقد في ظروف دولية مختلفة، كما كان إيذاناً ببدء إرهاصات نظام دولي جديد، لذلك أعلن مؤتمر مالطا نهاية الحرب الباردة، وبداية تحديد مستقبل العلاقات السوفيتية الأمريكية خلال العقد الأخير من القرن العشرين، وعقد مؤتمر مالطا كما سبق في ظروف دولية مليئة بالأحداث منها ما جرى في أوروبا الشرقية خلال الشهور الأخيرة من عام ١٩٨٩م كإعلان الوحدة بين الألمانيتين، وانهيار النظم الحاكمة الشيوعية في بولندا، ورومانيا، وتشيكوسلوفاكيا، وبلغاريا، والمجر، كان ذلك التغيير متأثراً بفلسفة غورباتشوف، والمتمثلة بالبيروسترويكا ـ إعادة البناء ـ واستندت إلى تنازل موسكو نهائياً عن مبدأ "بريجنيف" الذي كان يحكم القبضة السوفييتية على أوروبا الشرقية.

---

1) نازلي معوض : التصالحية في العلاقات الأمريكية السوفيتية، وانقضاء القطبية الثنائية، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، العدد (٥)، شتاء١٩٩٢م، ص٦٨ : ويضيف الباحث نازلي إلى أن الأمريكان أعلنوا تقليص حجم القوات الأمريكية من (٣٢٠ ألف إلى ٢٧٥ألف جندي) خلال نهاية عام ١٩٩٠م، وكان قد سبق إعلان "البنتاجون" وزارة الدفاع الأمريكية، يوم ١٩٨٩/١١/١٦م عن تخفيض النفقات العسكرية بمقدار ١٨٠ بليون دولار ما بين عامي ١٩٩٠- ١٩٩٥م، ولاقى ذلك ارتياحاً كبيراً من قبل دوائر النظام في موسكو. كما دعا "بوش" في مبادرته أمام قمة مالطا الاتحاد السوفيتي إلى عقد قمة تالية في واشنطن خلال يونية ١٩٩٠م يتم فيها التوقيع على اتفاقية بين الدولتين العظميين بشأن تخفيض حجم الأسلحة النووية الطويلة المدى بنسبة ٥٠٪ من الترسانة العسكرية النووية لكل من الجانبين، كذلك وافق بوش على إبرام اتفاقية مع الاتحاد السوفيتي لحظر إنتاج الأسلحة الكيميائية.

وأهم قرار صدر عن هذا المؤتمر هو إعلان الرئيس الأمريكي بوش عن عزمه على تخفيض القوات التقليدية الأمريكية المرابطة في القارة الأوروبية ودعوته للاتحاد السوفيتي إلى تخفيض مماثل لقواته في دول شرق أوروبا.

من جانب آخر وافق الرئيس الأمريكي بوش على منح الاتحاد السوفييتي صفة المراقب في منظمة الجات – الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفة الجمركية- وكان ذلك مطلباً روسياً ملحاً من جانب غوربا تشوف وذلك لتنشيط الاقتصاد السوفييتي بتيارات الاقتصاد الدولي وحركة التجارة العالمية.. أضف إلى ذلك وافق غوربا تشوف على تشجيع هجرة اليهود الروس إلى إسرائيل.. وفي أول يونيو ١٩٩٠م عقد مؤتمر قمة في واشنطن، وقع فيه الرئيس الأمريكي والرئيس السوفييتي على اتفاقية تقضي بتخفيض الترسانات النووية طويلة المدى في ترسانات دولتيهما بنسبة ٣٠٪ تبادلياً، كما أبرم الرئيسان اتفاقاً آخر يقضي بتخفيض الأسلحة الكيميائية بنسبة ٨٠٪ فضلاً عن سلسلة أخرى من الاتفاقات التفصيلية في مجالات نزع الأسلحة المختلفة، كالحضر والرقابة، ومنع النشر والتفتيش التبادلي فيما بينهما.. من جهة أخرى وقعت ٣٥ دولة أوروبيةوغير أوروبيةمن بينها دول حلف الإطلسي الست عشرة ودول حلف وارسو الست معاهدة باريس لإنهاء الحرب البارة بين المعسكرين، كما التزمت الدول الموقعة على معاهدة باريس بالنظام الديمقراطي، وبسيادة القانون، واحترام حقوق الإنسان في القارة الأوروبية[1].

ثم عقد مؤتمر آخر في موسكو في الفترة من (٣٠ يوليو إلى أول أغسطس ١٩٩١م) وكان قد سبق ذلك المؤتمر أحداث هامة، ففي الأسبوع الأول من يناير ١٩٩١م أعلن عن حل الكوميكون ــ مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة بين دول أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي ــ وفي الأول من يوليو

1) نفس المرجع السابق،ص٧١- ٧٢.

١٩٩١م أعلنت براغ عن بروتوكول إلغاء الهيكل السياسي لحلف وارسو، وهكذا تم تصفية الهيكل العسكري للحلف الذي انشأ عام ١٩٥٥م لمواجهة حلف الإطلسي داخل القارة الأوروبية.

وحققت موسكو في المؤتمر المذكور سابقاً جملة من المصالح الاقتصادية منها منح موسكو حق الدولة بالرعاية في التجارة مع الولايات المتحدة الأمريكية مما يعني إلغاء كافة القيود والعقبات المفروضة على التبادل التجاري بين واشنطن وموسكو. كذلك التدرج في منح موسكو العضوية الكاملة بصندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، وبحيث يصبح الاتحاد السوفييتي عضواً بالانتساب حتى يتم بحث منحه العضوية لاحقاً.

وأهم قرار تم التباحث بشأنه هو التوقيع على إبرام واشنطن وموسكو معاهدة تخفيض الأسلحة الاستراتيجية المعروفة باسم ستارت.

وفي يوم ١٩ أغسطس ١٩٩١م حدث انقلاب سياسي وعسكري ضد غورباتشوف، وفشل الانقلابيون الشيوعيون الراديكاليون الذين أرادوا إعادة الأمور إلى ما كانت عليه سابقاً، وعاد الزعيم الإصلاحي إلى السلطة رغم إخفاقه في تحقيق نشاط اقتصادي فاعل من خلال المساعدات المالية التي وعد بها من قبل الولايات المتحدة الأمريكية مقابل التنازلات الجسيمة التي وافق عليها السوفييت والمتمثلة في التراجع العقائدي عن الأيديولوجية الاشتراكية، وكذا في مجال الحد من الأسلحة النووية.

وانفصلت الجمهوريات الثلاث (أستونيا – لاتفيا – ليتوانيا) عن منظومة الاتحاد السوفييتي ثم أعلنت معظم الجمهوريات السوفييتية السلافية منها والآسيوية استقلالها عن موسكو في صورة دول مستقلة جديدة ذات سيادة (جورجيا – مولدافيا – أرمينيا – الجمهوريات السوفييتية الخمس الآسيوية – أوكرانيا) وذلك في أعقاب فشل الانقلاب.

هذه الأوضاع السياسية الجديدة تفرض على المتابع لها سؤالاً يبحث عن الدور الذي لعبه الإسلاميون في ظل الحياة السياسية في عهد غوربا تشوف، والزعيم "يلتسن" فكيف أدارت بعض الشخصيات الإسلامية توجهاتها السياسية الجديدة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي؟

ففي طاجكستان سجل حزب النهضة الإسلامي نفسه في موسكو لأن سلطات أوزبكستان وطاجسكتان رفضت تسجيله لديها، وأصبح تعداد أعضائه حوالي مائة ألف عضو، وكان من أهدافه توحيد كل المسلمين السوفييت بغض النظر عن قومياتهم، ويطالب بوقف أنشطة الحزب الشيوعي، والعودة إلى الأبجدية العربية، وجعل يوم الجمعة يوم عطلة رسمية، وذبح المواشي على الطريقة الإسلامية، ويسمح للجنود المسلمين بممارسة الصلاة في ثكناتهم العسكرية[1].

كما برز حزب إلى الساحة السياسية هو "حزب تركستان الإسلامي" وقد أنشئ في إقليم أوزبكستان، ومؤسسه مجزوم جابات، ومن أهدافه توحيد آسيا الوسطى في شكل اتحاد فيدرالي، أو كونفيدرالي، ويعلق الحزب آمالاً على القوميات الإسلامية في الساحة كالتتار والبشكير والأذربيجانيين.. من جانب آخر عارض الحزب استقلال الجمهوريات حتى لا يؤدي إلى تفتيت الأمة التركية[2].

يالإضافة إلى حزب الآش الكازاخي، ومقره كازاخستان، وتقوم دعوته على تضامن إسلامي وعلى الحريات الديمقراطية والتعاون مع الشيوعيين، برزت أيضا جماعة الإسلام، والتي يتركز نشاطها في داغستان بزعامة

---

1) إيمان يحيى : مستقبل الجمهوريات الإسلامية السوفييتية (احتمالات المستقبل وإرادات الواقع)، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، العدد (٥)، شتاء ١٩٩٢م، ص١٤٧- ١٤٨.

2) أكبر رشيدوف : الأتراك يستيقظون فهل سيرتجف العالم ؟ "مجلة مجيابوليس أكسبريس.. نقلاً عنها : المرجع السابق،ص١٤٨.

"حسب الله حسب اللاتوف" ومن أهدافها : أسلمة الجمهورية، ولبس الحجاب، وفصل الأولاد عن البنات في التعليم.. ويوجد داخل الدولة صراع بين الإسلام الرسمي الذي يؤمن بالعلمانية، وبين التوجهات الجديدة من الأصوليين، والذين استطاعوا الإطاحة بمفتي الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان.

ومن الملاحظ أن الأحزاب الشيوعية في البلدان الإسلامية السوفييتية قد غيرت توجهاتها بعد انقلاب أغسطس إلى الوجهة القومية، وأبرز تلك الاتجاهات القومية هي الجبهة الشعبية في أذر بيجان وترفع شعارات ثلاثة هي : الاستقلال لأذربيجان، لا للشيوعية، والدفاع عن ناجورنوكاراباخ"[1].

وهناك العديد من الأحزاب القومية الأخرى التي تحمل توجهاً قومياً، منها ديمقراطي، كما هو الحال في طاجكستان والمتحالف مع الأصوليين الإسلاميين، ففي الشيشان يتزعم مؤتمر عموم شعب الشيشان الذي كان يقوده الجنرال جوهر دودايف، ودعا المؤتمر للاستقلال عن روسيا.

لكن السؤال المُلِح كيف اندمجت هذه القوميات المتعددة ذات الأيديولوجية الإسلامية في المحور المسيحي الروسي؟

يحدثنا التاريخ أن ذلك يعود إلى فترة الستينات من القرن ١٩م، ذلك أن وقوف أوروبا أمام التوسع القيصري الروسي في أملاك الدولة العثمانية إبان حرب القرم ١٨٥٣- ١٨٥٦م دفع روسيا القيصرية إلى الاتجاه شرقاً نحو التوسع في آسيا الوسطى والقوقاز تعويضاً عن هزائمها في أوروبا.. لقد انتهزت روسيا تفكك الأوضاع الداخلية في آسيا الوسطى فاستولت على "خوقند" عام ١٨٦٥م، وعلى بخارى عام ١٨٦٨م، وعلى "خيفا" عام ١٨٧٣م.. وتم ذلك باتفاق

---

1) فلاديمير أورلوف : هذه الكلمة الحلوة – الحرية، أنباء موسكو – بالروسية، العدد [٣٧] ١٩٩١/٩/١٥م، نقلاً عن مجلة مستقبل العالم الإسلامي لكتاب "أكبر رشيدوف" المرجع السابق، ص١٤٨.

روسي – بريطاني عام ١٨٦٩م على أن تكون الأراضي الواقعة غرب نهر جيحون منطقة نفوذ روسي والأراضي الواقعة شرق "أفغانستان" منطقة نفوذ بريطاني[1].

ونتيجة للسياسة القمعية التي قام بها الحزب الشيوعي الروسي ضد القوميات الإسلامية المتعددة طوال فترة حكم الاتحاد السوفييتي فجرت هذه القوميات في بلدانها، كرد فعل ابتداءً من عام ١٩٧٢م عندما صرح أحد العلماء السوفييت بقوله : "ليس هناك مكان في الاتحاد السوفييتي يتعاظم فيه النفوذ الديني، كما هو الحال في آسيا الوسطى.. فالنفوذ الإسلامي في تلك المنطقة قوي للغاية"[2].

في هذا الإطار نلاحظ أن السياسة الجديدة لروسيا تبدلت في مواقفها تجاه القضايا العربية وخاصة قضية فلسطين.

وزاد من قوة تلك القوميات الإسلامية فشل الإنقلاب المضاد للرئيس غورباتشوف في أغسطس ١٩٩١م، وحدوث التحول الجذري لشكل الدولة السوفييتية، قوامه انهيار السلطة المركزية للدول السوفييتية، ونقل السلطات إلى الجمهوريات، وأعقب ذلك توقيع معاهدة الاتحاد الجديد في الخامس من

---

1) محمد السيد سليم : مستقبل الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، مرجع سابق،ص١٦٧، ويضيف المرجع، أن روسيا استمرت بالتوسع من عام ١٨٧٧م في آسيا الوسطى وكثفت من ذلك التوسع بعد مؤتمر برلين عام ١٨٧٨م الذي كان بمثابة ضربة كبرى للأهداف التوسعية الروسية في أملاك الدولة العثمانية في البلقان.. واصطدمت المناطق المنظمة إلى روسيا بالقوى الروسية الأرثوذكسية قد أيقظ لديها الإحساس بالانتماء إلى الإسلام باعتباره قاسماً مشتركاً بينها.

2) The ottaw Journal (canada), I , December 1972.

نقلاً عن : محمد السيد سليم : مستقبل الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص١٧٧.

سبتمبر ١٩٩١م والتي بموجبها تحول الاتحاد السوفييتي إلى دول مستقلة ذات سيادة يربطها رباط كونفيدرالي، وفي هذا الإطار أعلنت جمهورية أذربيجان، وأوزبكستان، وقيرغيزيا الاستقلال عن الاتحاد السوفييتي ـ بعد أن استقلت دول بحر البلطيق ـ وطالبت هذه الدول الإسلامية الانضمام إلى المؤتمر الإسلامي بصفة مراقب.

وعندما بدأت روسيا الجديدة إعادة بنائها، كان ذلك في ظروف مفعمة بالإحباطات نتيجة الخلل السياسي الذي ورثته من عهد الحكم الحديدي السابق، ونتيجة إفراط القادة السياسيين الروس الذين انطلقوا من مقدمات خاطئة أدت إلى نتائج خاطئة، بعبارة أكثر وضوحاً نتيجة تقديم تنازلات متتابعة من جانب واحد للغرب جرياً وراء إقناعه بالتغيير، كما أدت عملية إعادة البناء على الصعيد الداخلي إلى استفحال الأزمة التي كانت موجودة داخل البنية السوفييتية وإشاعة الفوضى في المجتمع والاقتصاد، وكانت في الواقع عملية هدم دون استعداد كاف للبناء الجديد. وانعكس ذلك على السياسة الخارجية للدول الروسية وأدى ذلك إلى دخول روسيا في شراكة مع الولايات المتحدة الأمريكية من موقع ضعف وتبعية[1].

خلاصة القول، لقد كان النظام في المعسكر الاشتراكي يقوم على مبدأ المفاضلة بين الآمال التي كانت ضمن الأهداف الاستراتيجية والمتمثلة برفاهية الشعب وبين السباق على التسلح لمواجهة أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية.. ونتيجة أن الهدف الأول كان هدف ترغيب معلق على آمال مستقبلية فقد تحول إلى شعار سياسي وأصبح السباق على التسلح هو الهدف المنشود والرئيس، وهو الفخ الذي وضعته أمريكا للإيقاع بالاتحاد

---

1) وحيد عبدالمجيد : تأثير تفكك الاتحاد السوفيتي في العالم العربي والإسلامي، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، مرجع سابق،ص٢١٤.

السوفييتي والذي استنزف كل إمكانياتها.. وبالتالي بدأ العد التنازلي السريع لسقوط الاتحاد السوفييتي، بفضل الشخوص السياسية التي قدر لها أن تحكم موسكو، وكان معظمهم من أوساط الطبقة البروليتارية.. ولم يكونوا من النخبة المثقفة، والتي همش دورها السياسي.. هذا من جهة.. ومن جهة أخرى المبدأ الأيديولوجي الشيوعي الإلحادي أدى ذلك إلى مواجهته سراً وعلانية من الداخل والخارج .. ونجحت القوى المعارضة للفكر الشيوعي الإلحادي في الخارج في هزيمته فكرياً وسياسياً، فانتهت الشيوعية في الصومال وفي أثيوبيا وفي اليمن الجنوبي ـ سابقاً ـ ويعد ذلك هزيمة لكل الأنظمة التي فرضت عن طريق المعسكر الاشتراكي في القرن الأفريقي وفي أفغانستان، وانهزمت أيضاً الأحزاب الشيوعية المنضوية تحته سراً في البلدان العربية الأخرى، ويعد ذلك انتصاراً للمعسكر الغربي الذي عمل جاهداً لمؤازرة القوى المعارضة للأنظمة الشيوعية.

الثورة الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٩م:

في القرن ١٦م ولد الفكر الشيعي كمذهب رسمي في إيران على يد الشاه إسماعيل الصفوي، وبدأ أول احتكاك عسكري بين الدولة الوليدة، والدولة العثمانية ودارت معركة في سهل "جالد يران" عام ١٥١٤م وعلى الرغم من هزيمة الإيرانيين إلا أن المذهب انتشر في معظم الأراضي الإيرانية وامتد إلى جنوب العراق، وأصبح للمذهب في إيران مرجعية دينية في النجف، وعلى الرغم من الاحتكاك المذهبي إلا أن الاتجاه الوهابي الذي ولد مع محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٢- ١٧٩٢م) كان أشد كراهية للشيعة والمذاهب السنية الأخرى، واتجه ابن عبد الوهاب إلى محاربة الشيعة الإثني عشرية في العراق، ومحاربة الشيعة الزيدية في اليمن حتى مجيء محمد علي باشا ـ والي مصر ـ (١٨٠٥- ١٨٤٩م) ونجح في كبح جماح الوهابيين ما بين (١٨١١-

١٨١٨م)، واستمر الصراع بين الشيعة في إيران والدولة العثمانية حتى مطلع القرن العشرين، وتقمص الفكر الشيعي أيديولوجياً عقدة كربلاء. الاستغراق في فكرة الاستشهاد باعتباره قد يباركه الله ويجزي صاحبه أكبر الثواب اقتداء بالمثل الذي ضربه الحسين.

يشير هيكل[1] إلى أنه "لا بد من الاعتراف بأن المذهب الشيعي في إيران يتسم بنوع من الحزن المأساوي، فالتوتر والحزن هما السمتان الواضحتان في احتفالات المحرم الخاصة بإحياء ذكرى استشهاد الحسين".

ومنذ عهد الشاة إسماعيل أعيد تنظيم الحياة الدينية في إيران، وتركزت مدارس العلم الشيعية في مسجدين، واحد خارج البلاد مسجد علي بالنجف، وآخر مسجد فاطمة المعصومة بمدينة قم. وهناك ست مراتب للمنخرطين في سلك الدراسة في هذه المساجد، الأولى هي مرحلة "طالب العلم" وعند تخرجه يصبح "مجتهداً"، والثانية الاجتهاد الذاتي ليكوَّن رأياً، والثالثة هي "مبلّغ الرسالة"، والرابعة "حجة الإسلام، والخامسة "آية الله"، والسادسة والأخيرة هي "آية الله العظمى" والذي يعد مرجعاً دينياً.. وطبقاً لدستور ١٩٠٦م يمنح آية الله العظمى حصانة سياسية، وعندما كان "الخميني" مجرد آية الله كان من الممكن للشاه أن يأمر بالقبض عليه لكنه عندما أصبح "آية الله العظمى" أصبح من غير الممكن القبض عليه لذلك تم نفيه.

والمدرسة الأساسية للشيعة هي "الحوزة" وهي حلقة المريدين الذين يتجمعون حول المعلم يتلقون علومه، وإذا وصل أحد الدارسين إلى مرتبة "حجة الإسلام" يمكنه أن يؤسس الحوزة الخاصة، وإذا زاد عدد المتلقين للعلوم حوله قد يصل إلى مرتبة "آية الله"، والذين هم في هذه المرتبة يمكنهم ترشيح

---

1) محمد حسنين هيكل : مدافع آية الله، قصة إيران والثورة، القاهرة، دار الشروق، ط١، ١٩٨٢م، ص١١١.

أحدهم لمرتبة آية الله العظمى، ويقدم بذلك بحثاً دينياً، وكانت رسالة "الخميني" بعنوان "تحرير الوسيلة".

في منتصف القرن ١٩م كانت روسيا وبريطانيا تتصارعان على دولة إيران وخاصة في فترة الشاه نصر الدين، والذي يمثل في سوء تصرفه في الشؤون المالية "الخديوي إسماعيل" في مصر، وشاه إيران منح بريطانيا امتيازات إنشاء السكك الحديدية، والترام، والمناجم، والترع، والطرق، والأشغال العامة، والمطاحن، والمصانع، ومكاتب البرق، والبنوك، والالتزام بالجمارك لمدة خمس وعشرين عاماً، كل ذلك مقابل مبلغ سنوي قدره عشرة آلاف جنيه استرليني[1]".

إلا أن الاحتجاجات الروسية والشعبية أدت إلى تراجع الشاه عن الامتيازات بعد ثمانية عشر عاماً، وفي ٨ مارس ١٨٩٠م منحت حكومة الشاه امتيازاً إلى رجل إنجليزي هو "ج. هـ. ف.تالبوت" يسمح له بإنتاج وبيع وتصدير التبغ الإيراني لمدة خمسين عاماً مقابل خمسة عشر ألف جنيه استرليني تدفع سنوياً إلى الشاه، وفي هذه المرحلة أصدر الحاج "ميرزا شيرازي" زعيم المجتهدين فتوى أعلن فيها استعمال المؤمن للدخان يعتبر رذيلة، وأطاع الشعب الإيراني هذه الفتوى واعتبر الإنجليز ذلك ثورة، وأدى ذلك إلى طرد جمال الدين الأفغاني (١٨٣٩- ١٨٩٧م) من إيران عام ١٨٩١م، وقام أحد أتباعه باغتيال الشاه نصر الدين في أول مايو عام ١٨٩٦م بعد حكم دام تسعة وأربعين عاماً، وخلفه الشاه مظفر الدين، وكان شخصية ضعيفة في إدارة الدولة.

في خضم هذه الفترة لحق بإيران هزّات سياسية عنيفة ومنها مطالبة الشعب عام ١٩٠٥م شاه إيران على موافقته على الدستور، وتم عقد مجلس البرلمان وإقرار الدستور عام ١٩٠٦م، وكانت روسيا القيصرية تؤيد الشاه

---

1) المرجع نفسه : ص٤٥.

برفضه للدستور الذي انقض عليه وألغى الدستور، وحظي الدستوريون من قبل بريطانيا بتعاطف شديد.. وفي أغسطس ١٩٠٧م جرت مفاوضات سرية بين روسيا وبريطانيا، تم بموجبها الاتفاق على تقسيم إيران إلى ثلاث مقاطعات وهي: منطقة نفوذ روسي في الشمال، ومنطقة نفوذ بريطاني في الجنوب، ومنطقة محايدة تشمل طهران في الوسط.. وعندما أعلن الجيولوجيون أن منطقة الشمال الإيراني مليئة بالبترول عمل البريطانيون على التنقيب في الجنوب، وتم استخراج البترول لأول مرة عام ١٩٠٨م عند مسجد سليمان.

وأثناء الحرب العالمية الأولى أصبحت إيران مسرحاً للأحداث، فقد احتلت الجيوش البريطانية والروسية بعض المناطق منها، وذلك لوقف تقدم الألمان والأتراك[1]، وعندما اندلعت الثورة البلشفية الروسية عام ١٩١٧م انسحب الجيش الروسي من شمال إيران.

وبعد الحرب العالمية الأولى وصلت إيران إلى حالة من الفوضى الشاملة، وقام "رضا ميرزاخان" وهو أحد الضباط العسكريين الأقوياء، بالاستيلاء على فرقته العسكرية أولاً، ثم استولى على العاصمة طهران، وأخيراً على كل إيران، وبالتالي قام بخلع الشاه والذي كان من أسرة القاجار الحاكمة، وأعلن إيران جمهورية إلا أن النظام الجمهوري كان غريباً على رجال الدين الآيات، لذلك أعلن نفسه شاهاً على إيران عام ١٩٢٥م، وكان الشاه رضا من أصل ريفي وأمياً تماماً.. في الوقت ذاته اتخذ لنفسه لقب "بهلوي" للأسرة، وكان يميل إلى جمع المال.. وعندما تنازل عن العرش عام ١٩٤١م قدرت ممتلكاته بألفي قرية يعمل فيها ربع مليون فلاح.. وتزوج الأمير محمد رضا بهلوي من أخت الملك فارق "الأميرة فوزية" عام ١٩٣٨م، وطلقت منه عام ١٩٤٨م بعد وفاة والده رضا بهلوي في منفاه.

---

1) المرجع نفسه : ص٤٥.

وأثناء الحرب العالمية الثانية عمل الأمريكيون بجهود مضنية لتدعيم وضع إيران الاقتصادي ومع نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م، أعلن وزير خارجية أمريكا "دين أتشيسون" أن أمريكا في وضع أفضل من روسيا وبريطانيا من أجل تولي زمام التوجيه فيما يختص بإيران لتكون لأمريكا مصالح ذاتية فيها[1].

ودخلت أمريكا في منافسه مع بريطانيا وروسيا.. وكان لروسيا طابور خامس داخل إيران تمثل بحزب "توده" الشيوعي، وبحلول مايو ١٩٤٦م كانت القوات البريطانية والروسية قد انسحبت بناء على طلب إيراني، وابتداء من عام ١٩٤٩م كان الأمريكيون يقيمون لأنفسهم مواقع قوة في كل مناحي الحياة الإيرانية.

في عام ١٩٥٠م أردي رئيس الوزراء الإيراني "رازمارا" قتيلاً على يد أنصار "آية الله كاشاني" بسبب ولائه الشديد للأمريكان، وعين من بعده شخصية وطنية الدكتور "مصدق" في ١٩ أبريل ١٩٥١م، وشكل مصدق حكومة وطنية، وأعلن قانون تأميم البترول في ٣٠ أبريل من العام نفسه، وأيده بذلك رجال الدين، وفي ٣١ يوليو توقف تكرير البترول كلية.. وأعلنت بريطانيا رفع دعوى قضائية على الحكومة الإيرانية بشأن تأميم امتيازاتها بأغلب حقول النفط الإيراني في المحكمة الدولية.

وفي الثاني والعشرين من أغسطس عام ١٩٥٢م كان انقلاب مصدق على وشك النجاح لولا الانقلاب المضاد الذي أعاد الشاه إلى قصره، واعتقل مؤيدو"مصدق" وسلم مصدق نفسه للسلطات العسكرية، وقضى نحبه في السجن نتيجة إصابته بالروماتيزم الحاد نتج عنه شلل كامل.

---

1) محمد حسنين هيكل : مدافع آية الله، مرجع سابق، ص٥٥.

وكان للأمريكان دور كبير بإنجاح هذا الانقلاب المضاد، وأصبحت السلطة الحقيقية في طهران مركزة في يد السفارة الأمريكية، ولتثبيت أقدام الدولة الإيرانية وخزانتها المالية الفارغة، قامت الولايات المتحدة الأمريكية بمنحها قرضاً قدره خمسة وأربعون مليون دولار.. وتقدمت شركات البترول بتقديم قروض سخية للدولة الإيرانية مقابل الأرباح التي ستحصل عليها فيما بعد.

ومن الملاحظ أن إيران ارتبطت بعلاقة حميمة مع إسرائيل منذ عام ١٩٥٣م، وقد انضم ضباط إسرائيليون من الموساد إلى قائمة إلخبراء الذين يعملون على تنظيم جهاز المخابرات الإيرانية ـ السافاك ـ في الوقت ذاته انتشر الفساد المالي والإداري داخل حاشية الشاه، كما أسهمت القيم الأوروبية والأمريكية، والصهيونية بانحلال الشعب الإيراني المسلم.. لهذا كله كانت مسألة التغيير ضرورة دينية وسياسية وبدأ التجمع العلمي والذي يعرف بالحوزة العلمية في مدينة "قم" العمل على مناهضة الفساد الذي يرعاه الشاه، ومن هنا ولد المشروع الإسلامي السياسي على يد "روح الله الخميني" نسبة إلى مدينة "خمين" والذي كان يقوم بتدريس الفقه والمنطق.. وجمع الخميني بين تدريس الدين والعمل السياسي، وبعث برسائل لجميع رؤساء دول العالم الإسلامي والعربي يطلب منهم مساعدات للعمل الثوري. أرسل الزعيم "جمال عبدالناصر" مبلغ "١٥٠" ألف دولار عن طريق جهاز مخابراته إلا أنه تم القبض على العميل اللبناني في مطار طهران، وترتب على ذلك إعلان الرئيس جمال عبدالناصر بأنَّ المبلغ كان خاص لسد حاجات الأرامل والأيتام، الذين ترملوا وتيتموا من جراء حكم الشاة وحكم أبيه.. وبالتالي كان "الخميني" أول زعيم ديني شيعي يعلن استنكاره للتقية.

ومن الملاحظ أنه في عام ١٩٦٢م أعلن الشاه "الثورة البيضاء" وتمثلت ثورته بالإصلاح الزراعي وتحرير المرأة، وتعديل قانون الانتخابات، وعارض "الخميني" هذه القوانين فبرزت سمعته كمعارض وخاصة بشأن تحرير المرأة.

ورفع الخميني مطالبه للشاه وتمثلت بالآتي :

١ـ أن لا يضحي الشاه بمعتقدات الشعب واستقلال الأمة في سبيل تأمين مصالح أمريكا والصهيونية. ٢ ـ أن يحترم الشاه الحريات الإسلامية، وألا يفرض حكمه بالرصاص. ٣ ـ أن يقوم الشاه بمكافحة الفقر والجهل[1]. فبعث إليه الشاه أحد رجال السافاك بصحبة أحد رجال الدين يطلب من الخميني الكف عن مهاجمته، ومهاجمة إسرائيل وأمريكا.. ورد عليه "الخميني" في موعظة ألقاها في مسجد "فاطمة المعصومة" يتساءل ماذا يريد الشاه، ولماذا لا يسمح له بمهاجمة إسرائيل، ويتساءل هل للشاه والد إسرائيلي أو أم إسرائيلية؟[2]. وأضاف في ختام موعظته متوجهاً للشاه مرة أخرى "لم أعدً قلبي لتقبل إنذارك، وإنما أعددته لتلقي رماحك".

وفي الخامس من يونيو ١٩٦٣م توجه الخميني "لمجلس الأربعين" الذين قتلوا أثناء الهجوم على المدرسة الفيضية وألقى خطاباً عنيفاً موجهاً إلى الشاه مباشرة يقول فيه " اسمع إلى نصحي استمع إلى أولئك الذين تهمهم مصالح الشعب بشكل حقيقي.. استمع أيها البائس العليل، لقد عشت حتى الآن خمساً وأربعين عاماً في هذه الدنيا، فلتتوقف هنيهة ولتتأمل ماذا قدمت لبلدك، وليكن مصير أبيك درساً تتلقنه، تتهمنا بالرجعية، إنما أنت الرجعي الأسود"[3].

---

1) هيكل : المرجع السابق،ص١١٧.

2) هيكل : المرجع السابق : ص١١٧.

3) نفس المرجع، ص١٢١.

في هذه الفترة العصيبة أقر آية الله الآخر، وآية الله شريعة مداري، بإجازة رسالة "الخميني" تحرير الوسيلة، وبالتالي أصبح لقبه "آية الله العظمى".. وأصبح أمر اعتقاله أمراً غير مألوف قانونياً، وكان على السلطة الحاكمة اتخاذ قرار نفيه إلى خارج إيران، وأقلته سيارة إلى الحدود التركية وترك وحده في منطقة مهجورة إلا أنه نجح بالوصول إلى مدينة "النجف" عبر الحدود التركية ثم لحقت به زوجته وأسرته في نهاية الأمر.. من جهة أخرى كان الشاه قد وصل إلى مرحلة التشبع في المال والقوة، وأصيب بجنون العظمة وأصبح يميل إلى المبالغة في كل شيء.. ففي عام ١٩٧٢م احتفل الشاه بمرور ألفين وخمسمائة عام على قيام الحكم الملكي، واتسم الاحتفال بالعظمة وحضره معظم زعماء أوروبا وآسيا وأفريقيا، وكلف الاحتفال خزينة الدولة حوالي مائة وعشرين مليون دولار[1].

وفي بغداد نشط الخميني كثيراً نتيجة سوء العلاقات بين بغداد وطهران.. وفي عام ١٩٧٧م تمت تسوية النزاع بين العراق وإيران، وأصبح أمر الخميني مقلقاً للشاه، مما اضطر العراق إلى طرد الخميني منها.. في الوقت ذاته كان مصطفى ابن آية الله الخميني قد سقط قتيلاً في كمين أعده له رجال المخابرات الإيرانية ـ السافاك ـ في العاصمة طهران.

وفي السادس من أكتوبر عام ١٩٧٧م وصل "الخميني" إلى فرنسا، ومن باريس بدأ يعمل على التحريض والثورة ضد الشاه، ونجح الخميني بأسلوبه الإعلامي المتميز أن يثير قطاعات الجيش ضد الشاه، وفي أول يناير ١٩٧٨م قامت كتيبة كاملة مضادة للطائرات مكونة من خمسمائة جندي في منطقة "المشهد" بالفرار من الخدمة العسكرية بأسلحتها، وانتشر الاضطراب في كل إيران.. وأعلن "الخميني" للشعب الإيراني بعدم الاصطدام بالجيش

---

1) المرجع نفسه : ص١٢٦.

فالجيش جزء من الشعب ويحملون نفس المشاعر مثل بقية الشعب.. ووزع منشوراً باسم الخميني يقول فيه : (على الشعب أن يعرف أن الشهيد هو جوهر التاريخ، وعلى المتظاهرين تعرية صدورهم للجيش لأن الشاه سوف يستخدم الجيش ضدهم.. وفي النهاية سوف يجد الجيش نفسه بحاجة إلى أن يحرر نفسه من نظام الشاه).

وصرح الرئيس الأمريكي "جيمي كارتر" بأن الولايات المتحدة الأمريكية تأمل في أن يتم تشكيل وزارة تحالف، وأضاف أن وجود دولة إيران قوية ومستقلة يعد عاملاً للاستقرار في المنطقة[1].

وعين الشاه "شاهبور باختيار" رئيساً للوزراء في ٢٩ ديسمبر ١٩٧٨م، وكان عضواً في الجبهة القومية، وفي الثالث من يناير ١٩٧٩م وصل إلى طهران نائب قائد القوات الجوية الأمريكية في أوروبا "روبرت هويزر" وكان يرغب أن يرحل الشاه ويؤيد الجيش "بختيار" رئيس الوزراء.. وأعلن الخميني أن بختيار ألعوبة في يد الجنرالات، وإذا تدخل الجيش سيكون تحت قيادة أمريكية، وبالتالي يكون الشعب في حالة حرب مع أمريكا.. من جهة أخرى قامت الجبهة القومية بإلغاء عضوية بختيار، وبدأ الشاه يشعر أن الأمريكيين قد غدروا به من خلال "هويزر" الذي بدأ يعد إنقلاباً ضد الشاه لقطع الطريق على الثوار والخميني، واضطر الشاه مغادرة البلاد، وقدرت ممتلكاته "بليون دولار" وقدر ثمن الجواهر المؤمن عليها بحوالي "خمسمائة بليون دولار".. ودعا الخميني الجيش إلى تحطيم سلاحه الأمريكي، ودعا الشعب باستمرار المظاهرات ضد نظام بختيار، وعندما اقترح الرئيس الأمريكي "كارتر" بتعاون الخميني مع بختيار قال الخميني : هذا ليس من شأن كارتر[2].

---

1) الأزمة الإيرانية وانعكاساتها الدولية (إعداد مركز الدراسات للأهرام) مجلة "السياسة الدولية (عدد٥٥)، يناير ١٩٧٩م،ص٣٠.

2) هيكل مرجع سابق، ص٢٢٨.

وعندما طار الشاه إلى الرباط لم يقابل بالترحاب كما حصل له بأسوان ـ بمصر ـ بل تظاهر الطلاب المغاربة ضده، كما رفضت الولايات المتحدة الأمريكية استقباله.

واستقل الخميني طائرة فرنسية في الأول من شهر فبراير، وتوجه إلى طهران، وحينما سمعت حكومة إيران عن قدوم الخميني أعلنت أنها غير مسئولة عن أمنه نتيجة هيجان الشعب في كل مناطق البلاد، وسرعان ما كون أنصار الخميني لجنة أمنية محلية استولت على زمام الأمور وقامت بدور الحماية له.

ووصل الخميني قائد الثورة ـ كان يناهز الثمانين من العمر ـ وهيئت له طائرة هيلوكبتر وطاقم لقيادتها، وطار الخميني فوق رؤوس مؤيديه الذين كانوا يهتفون له بحماسة إلى أن وصل إلى مقبرة الشهداء في الزهراء للزيارة، ثم توجه إلى المدرسة الحسينية حيث تقررت إقامته هناك.

وتجاهل الخميني رئيس الحكومة بختيار، وعين بازرجان، رئيساً للوزراء في الوقت ذاته انضمت وحدات من الجيش إلى المتظاهرين في الشوارع واختفى من الساحة نائب رئيس أركان الجيش الأمريكي "هوبزر" والذي كان حتى تلك اللحظة في طهران.

وأعلن بختيار حظر التجول فأمر الخميني تحدي الخطر، وأصبح الجيش والحكومة كالأشباح وكان من مهام الإمام الخميني هو تحطيم النظام السابق، من جيش وأمن واستخبارات، وكل شيء يمت بصلة بنظام الشاه.. وعين "بني صدر" رئيساً للجمهورية، ولكنه وجد نفسه رئيساً بدون سلطة حقيقية فقد كانت كل السلطات بيد الإمام الخميني، وأصبحت الإدارة الحكومية شبه معطلة نتيجة الاحتكاك السياسي بين من صنفوا علمانيين كبني صدر، وأنصاره، والفقهاء الذين اعتبروا أنفسهم أصحاب السلطة.

واحتجاجاً على التدخلات الأمريكية قام الطلاب باحتلال السفارة الأمريكية، واعتبر الطلاب موظفي السفارة رهائن، وقامت قوات أمريكية بمحاولة انقاذ الرهائن إلا أنها هزمت، ولم يقدر لها النجاح ثم جرت مفاوضات بين الحكومة الإيرانية والولايات المتحدة الأمريكية حتى تم فك الرهائن في يناير ١٩٨١م. وتسلم الفقهاء مقاليد الحكم بعد الثورة، وتجاوز دورهم السلطة إلى التأثير على نسيج القيم والسلوك[1].

وبرز نظام الإمامة ممثلاً بالخميني المسؤول عن الجانب الروحي والدنيوي، فمن الناحية الفقهية فالإمامة لدى الشيعة الجعفرية تعد ركناً عقائدياً وليست من الفروع كما يراها أهل السنة، وقضية الإمامة لدى الشيعة مسألة أساسية وهامة "إذ أن الإمامية تعتقد أن الله سبحانه وتعالى لا يخلي الأرض من حجة على العباد من نبي أو وصي ظاهر مشهور أو غائب مستور"[2].

وبرز المشروع السياسي للإمام الخميني وتمثل بمسألة ولاية الفقيه، وهي صفة طرحت لتملأ الفراغ القائم في قمة الهرم الشيعي، فبعد اختفاء الزعامة والإمامة، تقدم الفقهاء ليشغلوا موقع القيادة[3].

حكومة الإمام الخميني :

وتمثل المشروع السياسي الإسلامي للإمام الخميني بالنقاط التالية:

ـ أن الإسلام دين المجاهدين الذين يطلبون الحق والعدل، والحرية، والاستقلال. والذين لا يريدون أن يجعلوا للكافرين على المؤمنين سبيلاً.. وقد تصور أعداء الإسلام أن الإسلام لا علاقة له بتنظيم الحياة والمجتمع، أو

---

1) فهمي هويدي : إيران من الداخل، القاهرة، مؤسسة الأهرام للطباعة والنشر، ط٣، ١٩٨٨م،ص٢٤٣.

2) محمد الحسني آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها، ص١٣٦.

3) فهمي هويدي : المرجع السابق،ص٩٦.

تأسيس حكومة من أي نوع، بل عني فقط بأحكام الحيض والنفاس، ولا يملك من أمر الحياة وتنظيم المجتمع شيئاً. ومن أجل ذلك يوضح الإسلام على أن ما عرفه الناس من أحكام تشريعية في القرآن، وكتب الحديث هما من أهم مصادر التشريع.. أما كتب الفقهاء المجتهدين فهي تفسيرية وتفصيلية فالآيات المحكمة ذات العلاقة بشؤون المجتمع تزيد أضعافاً مضاعفة عن الآيات ذات العلاقة بالعبادات الخاصة.. ففي كتب الحديث لا تكاد تجد أكثر من ثلاثة أبواب أو أربعة تعني بتنظيم عبادات الإنسان، وعلاقاته بربه، وأبواب قليلة أخرى تدور في الأخلاق، وما سوى ذلك فذو علاقة بالاجتماع والاقتصاد، وحقوق الإنسان، والتدبير، وسياسة المجتمعات[1].

ويتساءل الخميني في كتابه "الحكومة الإسلامية" هل يوجد في الإسلام حكم وراثي أو ولاية عهد؟.. ويجيب أن النظام الملكي يناقض الحكم الإسلامي ونظامه الساسي "لقد أبطل الإسلام الملكية وولاية العهد، واعتبر في أوائل ظهوره جميع أنظمة السلاطين في إيران، ومصر، واليمن، والروم غير شرعية.. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد كتب إلى ملك الروم "هرقليس" وملك فارس يدعوهم إلى الكف عن استعباد الناس، ويدعوهم فيها إلى إرسال الناس على سجاياهم ليعبدوا الله وحده، لأن له السلطان وحده"[2].

وبذل الاستعمار البريطاني كل جهوده ـ في أوائل ما يسمى بالعهد الدستوري ـ بهدف طرد النفوذ الروسي من إيران، وإخراج الإسلام من ميدان التطبيق، واستيراد القوانين الغربية، وإحلالها محل قوانين الإسلام.

---

1) روح الله الخميني : الحكومة الإسلامية، بيروت، مكان الطبعة (بدون)،ص٩.

2) نفس المرجع : ص١٢.

فالإسلام في مجموع قوانينه الإصلاحية للبشر يحتاج إلى السلطة التنفيذية، فالله عز وجل قد جعل في الأرض حكومة وجهاز تنفيذ وإدارة، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يترأس كل الأجهزة التنفيذية في إدارة المجتمع الإسلامي، إضافة إلى مهام تبليغ الدعوة، وتفصيل الأحكام والأنظمة.. وعندما شكل الرسول صلى الله عليه وسلم الحكومة تزعم إدارة المجتمع، وأرسل الولاة، وقضى بين الناس فيما اختلفوا فيه، وبعث إلى أنحاء البلاد من يقضي بين الناس بالعدل، وأرسل السفراء إلى خارج حدود دولته، إلى شيوخ القبائل، وإلى الملوك، ويعقد المعاهدات، ويقود الحرب، وكان ينفذ كل أحكام الإسلام[1].

وتناول الأحكام المطلوب تطبيقها وتفعيلها داخل دولة إيران الإسلامية، من ذلك "الأحكام المالية" الضرائب المالية من أجل ضمان نفقات دولة كبرى ذات سيادة، أما "إلخمس" وهو مورد ضخم يدر على بيت المال أموالاً طائلة، ويؤخذ إلخمس "على المذهب الجعفري" من جميع المكاسب والمنافع والأرباح سواء في الزراعة أو التجارة أو المعادن والكنوز....إلخ.

ويدفع "خمس" فائض الأرباح إلى الإمام أو الحاكم الإسلامي لوضعه في بيت المال.. ويكون هذا المال لتسيير شئون الدولة الإسلامية وسد جميع احتياجاتها المالية.

وحكم الإسلام بوجوب الإعداد والاستعداد بموجب قوله تعالى :

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ إلخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: من الآية٦٠)

1) نفس المرجع : ص٢٤- ٢٥.

فإذا استعد المسلمون بمدلول هذه الآية لم يكن في ميسور اليهود الصهاينة احتلال فلسطين وإحراق المسجد الأقصى من دون مقاومة تذكر، تم ذلك نتيجة تقاعس المسلمين[1].

يشير أحد الباحثين[2] إلى أن العرب لم ينهزموا في فلسطين لأنهم كانوا عصريين، وإنما خسر العرب معركتهم لأنهم لم يكونوا كذلك بل كانوا ماضويين أمام عصريين.. فهل العصرية في المقاومة والمواجهة تحتاج إلى تكنولوجيا حديثة على غرار إسرائيل؟.. أعتقد أن المنظور العصري للمقاومة يحتاج إلى إعداد القوة بموجب النص القرآني، لكن لا يمنع ذلك إذا انعدمت القوة المادية، فهناك الإمكانيات البشرية بدليل أن أطفال الحجارة استطاعوا أن يقفوا أمام الهمجية الصهيونية بقوة على الرغم من ضعف الوسيلة المستخدمة، ولكنها حققت نتائج إيجابية. كما شجع هؤلاء العصريون كثيراً من الشباب الذين وجدوا أنفسهم أمام ضرورة الاستشهاد بوضع متفجرات بدائية وهذا بحد ذاته عمل بطولي أرهب به العدو الإسرائيلي، وأخاف به دول أوروبا، التي تقف دوماً مع العدو الصهيوني.

وتصدر مشروع الخميني نقاط في غاية الأهمية منها ضرورة الثورة السياسية، ومن المهم تهيئة الجو المناسب لتربية وتنشئة جيل مؤمن فاضل يحطم عروش الطواغيت، ويقض مضاجعهم لأن الفساد والانحراف ينمو على أيديهم، لذلك يجب إزالة الفساد ومحوه، وإنزال العقوبة الصارمة بهم[3].

وتناول المشروع مسألة الوحدة الإسلامية ويشير إلى أن الدولة العثمانية كانت دولة موحدة سعى المستعمرون في تفتيتها، ونجحوا في مخططاتهم تلك بنهاية الحرب العالمية الأولى، وقسمت دولة آل عثمان إلى دويلات على كل

---

1) الإمام الخميني : المرجع السابق،ص٣٢.

2) منح الصلح : العروبة والنظام العالمي الجديد، العربي (العدد ٤٣١)، أكتوبر ١٩٩٤م.

3) الإمام إلخميني : المرجع السابق، ص٣٤.

دويلة منها عميلٌ لهم، لذلك يجب السعي إلى إقامة حكومة إسلامية وإسقاط عملاء الاستعمار، وإيجاد وحدة إسلامية حقيقية، بالتالي يتم إنقاذ المظلومين والمحرومين.

والحكومة الإسلامية ليست حكومة مطلقة يستبد فيها رئيس الدولة برأيه عابثاً بأموال الناس ورقابهم، إذن حكومة الإسلام هي حكومة دستورية بمعنى أن القائمين بالأمر يتقيدون بمجموعة الشروط والقواعد المبينة في القرآن والسنة، وتتمثل في وجوب احترام النظام والعمل على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية. من ثم كانت الحكومة الإسلامية هي حكومة القانون الإلهي. لذلك فقد استبدل الإسلام بالمجلس التشريعي مجلساً آخر للتخطيط يعمل على تنظيم سير الوزارات في أعمالها "وكل ما ورد في الكتاب والسنة مقبول مطاع في نظر المسلمين، وهذا الانصياع يسهل على الدولة مسئولياتها، في حين أن الحكومات الدستورية الملكية والجمهورية إذا شرعت الأكثرية فيها شيئاً فإن الحكومة بعد ذلك تعمل على أن تحمل الناس على الطاعة والامتثال بالقوة إذا لزم الأمر"[1].

واشترط مشروع "الخميني" في الحاكم شرطين :

١ ـ العلم بالقانون الإسلامي. ٢ ـ العدالة.

ومن المسلم به "الفقهاء حكام على الملوك" وإذا كان السلاطين على جانب من التدين فما عليهم إلا أن يصدروا في أعمالهم وأحكامهم عن الفقهاء، وفي هذه الحالة فالحكام الحقيقيون هم الفقهاء، ويكون السلاطين مجرد عمال لهم[2].

---

1) الإمام إلخميني : مرجع سابق،ص٤٢.

2) نفس المرجع : ص٤٦.

"وإذا نهض بأمر تشكيل الحكومة فقيه عالم عادل فإنه يلي من أمور المجتمع ما كان يليه النبي صلى الله عليه وسلم منهم، ووجب على الناس أن يسمعوا له ويطيعوا"[1]. إذن الولاية هنا تعني حكومة الناس وإدارة الدولة، وتنفيذ الأحكام الإسلامية، وولاية الفقيه أمر اعتباري جعله الشرع فالحاكم القيم على شعب بأسره لا تختلف مهمته عن القيم على الصغار إلا من الناحية الكمية[2].

من أجل ذلك ينبغي للفقهاء أن يعملوا فرادى أو مجتمعين من أجل إقامة حكومة شرعية تعمل على إقامة الحدود، وحفظ الثغور، وإقرار النظام.

فالحكومة وسيلة لتحقيق أهداف سامية، فهي وسيلة لتنفيذ الأحكام وإقرار النظام الإسلامي العادل، وتتجرد الحكومة عن أية قيمة إذا كانت هدفاً مقصوداً يطلب لذاته. ومن أجل السعي لتشكيل الحكومة الإسلامية يرى الخميني من منظار تاريخي لهذه المسألة أنه في كل العالم على مر العصور كانت الأفكار تتفاعل عند مجموعة من الأشخاص، ثم يكون التصميم والتخطيط، ثم البدء بالعمل، ولنشر هذه الأفكار وإقناع الآخرين، يقول الخميني : " يكون لهؤلاء نفوذ داخل الحكومة يغيرها على النحو الذي تريده تلك الأفكار ويريده ذووها، ويكون هجوم من الخارج لاقتلاع أسسها وإحلال حكومة قائمة على هذه الأفكار محلها"[3].

ويضيف أن المسؤولية اليوم هي أكبر من أي وقت مضى ففي الوقت الذي تتعاون فيه كل القوى الاستعمارية والعملاء من الحكام إلخونة، والصهيونية، والمادية الملحدة على تحريف وتشويه الإسلام. "إن اليهود وسادتهم الأجانب يريدون بالإسلام كيداً، ويمهدون السبيل ليسود اليهود على هذا العالم كله، وبسبب

---

1) نفس المرجع : ص٤٩.

2) نفس المرجع : ص٢٥٠.

3) المرجع نفسه : ص١١٩.

من ضعفنا قد نصبح ذات يوم لنجد حاكماً يهودياً يحكم بلادنا ـ لاسمح الله ـ ومن جانب آخر فقد تعامل بعض المستشرقين مع المؤسسات الاستعمارية وعملوا سوية على تحريف الحقائق الإسلامية وهدمها"[1].

ويخاطب "الخميني" قراءه بقوله : " اخرجوا من عزلتكم، وكملوا برامجكم الدراسية والإرشادية، واركبوا الصعاب في سبيل ذلك، وخططوا للحكومة الإسلامية، وتقدموا في خططكم، وكونوا في ذلك ستصلون إلى هدفكم يقيناً(...) وأنا على يقين أنكم قادرون على إدارة دفة الحكم عند تقويض أسس الجور والظلم والعدوان. وكل ما تحتاجون إليه من قوانين ونظم فهو موجود في إسلامنا سواء في ذلك ما يتصل بإدارة الدولة والضرائب، والحقوق، والعقوبات وغيرها. لا حاجة بكم إلى تشريع جديد، عليكم أن تنفذوا فقط ما شرع لكم"[2].

مما سبق نلاحظ أن المشروع السياسي لدولة إيران الجديدة، وبزعامة "الخميني" قد أسس على برنامج طويل المدى، واتخذ شعار "تصدير الثورة الإسلامية" لدول الجوار مما أوجد رد فعل استجاب له المخطط الأمريكي الاستعماري في المنطقة. ومن هنا بدأ العمل على إيجاد تفجير موقف سياسي وعسكري وطائفي بين العرب وإيران ـ بين السنة والشيعة ـ ومن هنا تفجر الخلاف السياسي إلى حرب ضروس استمرت ثماني سنوات أكلت الأخضر واليابس، وأجهدت المخابرات الأمريكية كل إمكانياتها لدفع العراق لهذه الحرب، ودفع العرب من حولها لإسقاط المشروع الإيراني الإسلامي.

ودفعت الدول العربية المال والرجال دعماً للعراق، وخاصة دول الخليج العربي.

---

1) الإمام إلخميني : المرجع السابق،ص١١٩.

2) المرجع نفسه : ص١٢١.

النار تشتعل في الخليج (١٩٨٠-١٩٩٢م):

تشير المصادر إلى أن الخليج تنتج نصف البترول الذي يستهلكه العالم، وهي أكبر دول المنطقة في الشرق الأوسط استهلاكاً للأسلحة التي تنتجها البلدان الصناعية، وعدد سكانها يقدر بالآلاف ودخلها بالبلايين من الدولارات، ومن المعلوم أن الدول التي تقع على الشواطئ الجنوبية والغربية هي الكويت، والبحرين، وقطر، ودولة الإمارات العربية المتحدة، ومسقط.. ودول لها حجم سكاني لها منافذ على مياه الخليج وهي السعودية، والعراق، وإيران، فأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية ترقب بعين الذئب المفترس للدول المطلة على الخليج [1].

كان أول أثر للثورة الإسلامية الإيرانية هو ما قام به "جهيمان العتيبي" و "محمد عبدالله قحطان" وجمعا حولهما ما يقارب أربعمائة شخص مدربين على السلاح من قبائل سعودية، ففي ديسمبر ١٩٧٩م قامت هذه المجموعة بمحاولة الاستيلاء على الحرم المكي.. وقيل عن هذه العناصر أنها كانت تحمل عقيدة مذهبية شيعية وخاصة في مسألة المهدي المنتظر، وهي فكرة شائعة بين السنة كذلك، وكانت هذه العناصر لها دوافع دينية.

وقضت الخطة تخزين الأسلحة داخل سراديب تحت المسجد الحرام.. وفي اليوم الثاني للثورة أمسك العتيبي بالميكرفون الذي يستخدمه خطيب المسجد وخاطب المصلين : "انتبهوا أيها المسلمون. الله أكبر.. لقد ظهر المهدي.. إنه هنا بين الحجر، والمقام.. تذكروا كلمات الرسول.. لقد حان الوقت الآن.. هذا هو الرجل.. بسم الله الرحمن الرحيم"[2].

---

1) محمد حسنين هيكل : مدافع آية الله، قصة إيران والثورة، مرجع سابق، ص٢٥١.

2) نفس المرجع : ص٢٥٨.

بعد ذلك تدخل الحرس الملكي وبدأ إطلاق النار.. فاحتل العتيبي وأنصاره المآذن مما مكنهم من السيطرة على مداخل المسجد، ولمدة أربعة أيام وجد كل من الجيش والحرس الوطني نفسه عاجزاً تماماً عن السيطرة على الموقف، وبدأت الحكومة السعودية بالاتصال بالأردن وتم نقل قوات عسكرية بالطائرة من الخارج، وهم مجموعة من الفدائيين المدربين على هذا النوع من العمليات، وعن طريق حصار المنطقة كلها التي يحتلها المتمردون تم استخدام الغاز، لكن دون جدوى مما جعل النظام السعودي أن يستعين بقوة وخبرة فرنسية في التخطيط والتنفيذ لتصفية القوات المتمردة بعد عجز المواجهة التي استمرت مدة عشرة أيام[1].

من جهة أخرى تشير بعض الدراسات[2] إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية بدأت العمل على إعداد قوة عسكرية تسمى "قوة الانتشار السريع" كان ذلك من أجل الوصول والسيطرة على بترول الخليج العربي عبر القبول العربي ـ إن أمكن ـ بالتسلل الأمريكي إليها ويدعو إلى حمايتها.

كانت دولة "الخميني" قد أغضبت الأمريكان بوجه خاص بإسقاط نظام الشاه الموالي لها، ثم باتباع سياسة معادية للغرب، وأخيراً كان احتجاز كل موظفي السفارة الأمريكية في إيران كرهائن بعد احتلالها والاستيلاء على مبانيها بالكامل.

وتأزم الموقف بين العراق وإيران، ونجحت أمريكا وحلفاؤها من العرب في تصعيد وتيرة الخلاف بين الطرفين، وكانت الدعاوى العراقية أن منطقتي "المحمرة وعربستان" جزء لا يتجزأ من العراق.

---

1) محمد حسنين هيكل : حرب إلخليج أوهام القوة والنصر، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط١،١٩٩٢،ص١١٩.

2) جيفر ريكورد : قوة الانتشار السريع والتدخل العسكري الأمريكي في إلخليج، نقلاً عن : خالد الفيشاوي، مجلة شئون عربية، عدد(٣٥)، ١٩٤٨،ص٢٠٢.

(أ) الحرب الإيرانية العراقية (١٩٨٠-١٩٨٨م) :

ففي عصر الشاه أرغم العراق على قبول تنازلات لإيران في شط العرب، وتم ذلك أثناء اجتماع قمة دول "الأوبك" بالجزائر عام ١٩٧٥م، وكان العراق وقتها مشغولاً بتمرد في الشمال عطل نصف جيشه، وكانت الثورة الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٩م قد فاجأت الجميع بندائها الموجه لشيعة العراق، والشيعة في العراق تصل مجموعها إلى ٥٥٪ من العراقيين، لذلك نداء الثورة الإيرانية كان مسموعاً.

وتحصلت العراق بالبداية على معلومات أمريكية بواسطة السعودية، ما قامت المملكة العربية السعودية بدفع أربعة بلايين دولار، وتأزم الموقف العراقي الإيراني، وكان على العراق أن يقوم بالضربة الجوية الأولى، ففي صباح يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٨٠م قامت (١٥٤) طائرة عراقية بالضربة الجوية الأولى وتبعتها مائة طائرة للضربة الجوية الثانية، ثم لحق بالضربات الجوية هجوم بري على جبهتين : جنوباً في اتجاه عبدان، وعلى الجبهة الوسطى في اتجاه قصر شرين.

وبدأت صحف الغرب بما فيها الصحف الصادرة في لندن ونيويورك، وواشنطن، وباريس تخصص صفحاتها الأولى، ومكان الصدارة من صورها للجيش العراقي المنتصر، ونعت الرئيس العراقي "صدام حسين" بالبطل العربي[1]. واستمرت الحرب ثماني سنوات، وهناك مقولة لـ"هنري كيسنجر" يقول فيها : "هذه أول حرب في التاريخ نتمنى أن لا يخرج فيها منتصر، وإنما أن يخرج الطرفان كلاهما مهزوم"، ونجحت إيران في احتلال جزيرة "الفاو" التي تطل مباشرة على جزر "بوبيان" و"وربة" التابعة للكويت ـ وقدمت دول

---

1) محمد حسنين هيكل : حرب إلخليج أوهام القوة والنصر، مرجع سابق، ص١٣٠.

الخليج للعراق ما يقارب "١٢ بليون دولار" ـ ثم استعادتها العراق من جديد بعد تضحيات مريرة.

وفي ١٨ يوليو ١٩٨٨م جاء إعلان الحكومة الإيرانية بوقف إطلاق النار، كما أوقف العراق أيضاً إطلاق النار تنفيذاً لقرار مجلس الأمن رقم (٥٧٩)[1]، وخرجت بغداد من الحرب بعد ثمان سنوات مرهقة، وكانت تكاليف الحرب مع إيران قد استنفذت الاحتياطي العراقي ومقداره "٣٦ بليون دولار"، أما مقدار الديون التي تراكمت على العراق بسبب أعباء الحرب فقد بلغت "٦٠ بليون دولار"، وبدا على السطح أن العراق خرج من حربه مع إيران بمشكلة اقتصادية، فقد كلفته الحرب كثيراً واستهلكت كل احتياطاته، وراكمت عليه ديوناً عربية وغير عربية، وكان يأمل تخفيف ضائقته الاقتصادية. إلا أن المشكلة أن منظمة الأوبك وضعت سقفاً للإنتاج، كما أن انخفاض سعر برميل البترول في أسواق العالم إلى "١١دولاراً" وذلك بسبب تجاوز الحصص في الإنتاج كما هي مقررة باتفاقيات الأوبك، وكانت دولتا الكويت والإمارات قد أغرقتا الأسواق بالبترول خارج إطار حصصها المقررة من هنا بدأت المشكلة، وبدأت الكويت تطالب بزيادة حصصها وبالفعل بدأت تغرق الأسواق العالمية بالبترول الخام وبدأ التوتر بين العراق والكويت يشتد.

(ب) الحرب العراقية الكويتية (١٩٩٠-١٩٩٢م):

تعد الأزمة العراقية الكويتية في مطلع التسعينات من القرن العشرين هي الثالثة، كانت الأولى عام ١٩٦١م بعد استقلال الكويت، وبدأت تداعياتها في ١٩ يونيو ١٩٦١م عندما تم الإعلان بالاتفاق بين بريطانيا والكويت، وتضمنت أربع نقاط هامة هي: (أ) إلغاء اتفاق ٢٣ يناير ١٨٩٩م لأنه يتنافى مع

---

1) نفس المرجع: ص١٥٩.

سيادة الكويت. (ب) استمرار العلاقات بين البلدين. (ج) تتشاور الحكومتان في الأمور التي تهمهما.(د) استعداد الحكومة البريطانية لمساعدة حكومة الكويت إذا طلبت منها ذلك.

كان الرئيس العراقي في حينه هو "عبدالكريم قاسم" أعلن في مؤتمر صحفي عقد في "بغداد" في يوم ٢٥ يونية يقول فيه : "إن الكويت جزء لا يتجزأ من العراق، وإن الجمهورية العراقية لم تعترف باتفاقية عام ١٨٩٩م، لأنها وثيقة مزورة ولا يحق لأي فرد من الكويت أو في خارج الكويت التحكم في الشعب الكويتي، وهو من الشعب العراقي، وقد قررت الحكومة العراقية حماية الشعب العراقي في الكويت، والمطالبة بالأراضي التابعة لولاية البصرة بكل حدودها وعدم التنازل عن شبر واحد من أراضيها"[1].

وكانت الكويت خارج إطار الجامعة العربية، فأسرعت المملكة السعودية بتقديم طلب للجامعة العربية لعقد اجتماع لمجلس الجامعة في جلسة طارئة لبحث انضمام الكويت للجامعة ومناقشة التهديد العراقي لاستقلالها، وأخفق المجلس في اتخاذ قرار.. إلا أن مجلس الجامعة المنعقد في ٢٠ يونيو ١٩٦١ دعا فيه الكويت لأن تلتزم بسحب القوات البريطانية من أراضيها في أقرب وقت ممكن "ودعا العراق بعدم استخدام القوة لضم الكويت، كما تم قبول عضوية الكويت بالجامعة ومساعدتها على الانضمام إلى الأمم المتحدة[2] وأوصى مجلس الجامعة التزام الدول العربية بتقديم المساعدات الفعالة لصيانة استقلال الكويت، وتم إنشاء قوة ردع عربية مكونة من أربعة آلاف جندي تقدمت بها كل من مصر، والسعودية، والأردن، والسودان، وتونس، وانعقد

---

1) خالد السرجاني : جذور الأزمة بين العراق والكويت "السياسة الدولية"، عدد (١٠٢)، أكتوبر، ١٩٩٠م،ص١٥.

2) نفس المرجع : ص١٥.

لواؤها إلى قائد سعودي[1]، ثم سحبت تلك القوة عقب الانفصال الوحدوي بين مصر وسوريا مطلع عام ١٩٦٢م.

وبعد مقتل الرئيس العراقي "عبدالكريم قاسم" عام ١٩٦٣م اعترفت العراق باستقلال الكويت، وأكدت احترامها لوضع الحدود العراقية الكويتية.

أما الأزمة الثانية فكانت عام ١٩٧٣م عندما لمح العراق لمحاولة الحصول على جزيرتين تقعان في الخليج بالقرب من مدينة الفاو العراقية، وفي مارس ١٩٧٣م احتلت العراق جزءاً من المنطقة المتنازع عليها، ونتيجة الضغط العربي انسحبت العراق منها.

وفي عام ١٩٧٥م جرت اتصالات بين الحكومة العراقية والحكومة الكويتية، قدم العراق مقترحاً لتسوية المشكلة يتلخص في أن تؤجر الكويت العراق نصف جزيرة "بوبيان" لمدة ٩٩ عاماً، تتنازل الكويت عن سيادتها على جزيرة "وربة" مقابل اعتراف العراق بالحدود البرية بين البلدين، وفي يوليو ١٩٧٧م أعلن أن ممثلي البلدين قد توصلا إلى اتفاق شامل بشأن المناطق المتنازع عليها غير أنه لم يكشف الستار عن تفاصيل الاتفاق.

كانت الأزمة الأخيرة عام ١٩٩٠م وكانت مقدماتها اعتراض الكويت على حصصها من بيع البترول، ثم أدرجت مسألة ترسيم الحدود، وفي ٦ فبراير ١٩٨٩م حل الشيخ سعد السالم الصباح ولي العهد ورئيس الوزراء لدولة الكويت ضيفاً على العراق مهنئاً بانتصار العراق في حربه ضد إيران، في الوقت ذاته كانت الصحف الكويتية قد تناولت مسألة الحدود مع العراق، وكان قد وقع تصادم بري بين دورية كويتية ودورية عراقية، وشكا الكويتيون من دخول زورق مسلح عراقي إلى مياههم الإقليمية، واشتبك بالنار

---

1) نفس المرجع : ص١٦.

مع زورق كويتي، ثم شكا العراق من عمليات تهريب سلاح إليه من الكويت، وكذلك شكا من عملية استصلاح واستزراع أراض يقوم بها كويتيون داخل الحدود العراقية. إذن فقد كانت الزيارة مشوبة بالحذر، وتفجر موقف حدودي وكل منهما يدعي أحقيته بما يراه.

واجتمع الشيخ سعد الصباح مع وزير الدفاع العراقي "الفريق عدنان خير الله" وأثار الشيخ سعد مسألة الحملة الإعلامية التي قوبل بها لحظة وصوله لبغداد.. ورد عليه وزير الدفاع بقوله : "إنكم أنتم الذين بدأتم وأثرتم هذا الموضوع الآن، وكان على الصحافة العراقية الرد عليكم.. ثم اجتمع الشيخ سعد بالرئيس صدام حسين، وأبدى الرئيس العراقي ضيقه من الحملات الصحفية في البلدين[1] وقال الرئيس العراقي للشيخ سعد : لقد خولنا صلاحية كاملة "لطارق عزيز" وزير الخارج ية بحل وتسوية المشكلة. ثم أردف الرئيس صدام حسين قائلاً للشيخ سعد أن المسألة ليست أراضي، فلدي مشكلة أهم بكثير من ذلك وهي : أن الأسطول البحري العراقي مبعثر في كل مكان من أيام الحرب، فهناك قطع منه في ميناء العقبة في الأردن، وقطع منه في موانئ مصر، وقطع أخرى في موانئ إيطاليا حيث اشتريناها ولم نأمرها بالتوجه إلى العراق لأن العراق لا يمتلك ميناء عميقاً على الخليج يسمح لغطسها بالملاحة"[2].

وبعد زيارة سمو الشيخ سعد الصباح للعراق قام سعدون حمادي نائب رئيس الوزراء العراقي بزيارة الكويت في يناير ١٩٩٠م، والتقى بنظيره الشيخ صباح الأحمد الصباح، وكانت مهمة الوفد العراقي هي طلب قرض "عشرة بلايين" دولار يستطيع بها العراق مواجهة مشاكله الاقتصادية الصعبة.. ولم

---

1) محمد حسنين هيكل : حرب إلخليج أوهام النصر والقوة، مرجع سابق، ص٣٠٠.

2) نفس المرجع : ص٣٠٢.

تسفر الزيارة عن شيء، وبعدها بشهر قام الشيخ "صباح الأحمد الصباح" بزيارة للعراق رداً على زيارة "سعدون حمادي" في هذه الزيارة أشار المسؤول الكويتي إلى الديون السابقة المعلقة على العراق للكويت، وألمح إلى أن الكويت قد تستطيع تقديم خمسمائة مليون دولار للعراق تضاف إلى الدين القديم، وأنه سيقترح شيئاً من هذا النوع عندما يعود إلى الكويت. فطلب العراق تسهيلات بحرية كالتسهيلات التي حصل عليها أثناء الحرب مع إيران، وطلب أيضاً تطبيق معاهدة الدفاع المشترك بين البلدين.. وبعودة المسؤول الكويتي إلى الكويت كتب إلى "سعدون حمادي" مقترحاً بتشكيل لجنة "فنية" لترسيم الحدود[1].

وفي سياق تداعيات الأفعال وردود الأفعال بين العرب والولايات المتحدة الأمريكية، ظهر العراق خلال عام ١٩٩٠م كهدف محدد لحملة شديدة من جانب أمريكا، وبريطانيا، وإسرائيل، وركزت الحملة الإعلامية والسياسية على برامج التسليح العراقية، وخاصة امتلاك العراق للصواريخ من طراز سكود المعدل القادر على ضرب إسرائيل وعلى امتلاك الأسلحة الكيميائية والبيولوجية وعلى مشروع بناء المدفع العملاق الذي يصل مداه إلى ألف كيلومتر، ظهرت اتهامات جديدة للعراق بالسعي لتصنيع قنابل ذرية.

وزاد الأمر سوءاً تصلب الموقف الكويتي والذي تطور إلى توتر في العلاقات بين البلدين، وبعث وزير خارجية العراق طارق عزيز مذكرة إلى الشاذلي القليبي أمين عام الجامعة العربية بتاريخ ١٥ يوليو١٩٩٠م أشار فيها إلى أن حكومة الكويت استغلت انشغال العراق مع إيران في إقامة المنشآت العسكرية والمخافر والمنشآت النفطية والمزارع على أرض العراق، واشتراك حكومتي الكويت والإمارات في عملية مدبرة لإغراق السوق النفطية بمزيد

---

1) محمد حسنين هيكل : حرب إلخليج أوهام النصر والقوة، مرجع سابق، ص٣٠٣.

من الإنتاج خارج حصتهما المفردة في منظمة الأوبك الأمر الذي أدى إلى تدهور أسعار النفط من "١٨ دولاراً إلى ما بين ١١ و١٣ دولاراً" مما أصاب العراق بخسارة بلغت في الفترة من (١٩٨١ –١٩٩٠م) [٨٩] بليون دولار، مشيراً إلى أن نقص كل دولار في البرميل يصيب العراق بخسارة تبلغ مليار دولار سنوياً، واتهم عزيز الكويت بإقامة منشآت نفطية على الجزء الجنوبي من حقل الرميلة العراقي وسحبت النفط منه، وبلغت قيمة النفط الذي سحبته الكويت (٢٤٠٠ مليون دولار) خلال الفترة من (١٩٨٠- ١٩٩٠م)، وطالب العراق بإلغاء الديون المستحقة على العراق من دول الخليج وتنظيم خطة عربية على غرار مشروع مارشال لتعويض بعض ما خسره في الحرب[1].

وردت الحكومة الكويتية مبررة موقفها من ذلك، ودعت الكويت إلى تشكيل لجنة عربية في نطاق الجامعة العربية لترسيم الحدود بين البلدين.. واشتد الخلاف، مما دفع العراق إلى اتخاذ قرار الغزو ضد الكويت.. في يوم ٢٨ مايو ١٩٩٠م عقد مؤتمر القمة العربية في بغداد، وألقى صدام حسين خطاب الافتتاح، وكان هذا الخطاب هو البداية الحقيقية لأزمة الخليج على حد قول "هيكل"، وبرزت عبارات قوية في خطاب صدام جاء فيها : "يجدر بنا أن نعلن بوضوح أن إسرائيل إذا ما اعتدت وضربت فإننا سنضرب بقوة، وإذا ما استخدمت أسلحة الدمار الشامل ضد أمتنا سنستخدم ضدها ما نملك من أسلحة دمار شامل، وأن لا نتنازل عن تحرير فلسطين. من الحقائق التي أكدتها التجارب أن الولايات المتحدة الأمريكية تتحمل مسؤولية رئيسية بل

---

1) مجدي علي عبيد : المقدمات السياسية للغزو [السياسة الدولية]، عدد ١٠٢، أكتوبر ١٩٩٠م، ص١٨.

obeikandl.com

مسؤولية أولى في السياسات العدوانية والتوسعية التي يمارسها الكيان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني والأمة العربية"[1].

والملاحظ أن النظام الدولي في ظل الهيمنة الأمريكية والغربية أضعف النظام الإقليمي العربي، وكان الدعم الغير محدود من دول أوروبا الغربية لإسرائيل وتمثل هذا الدعم بالجانب المادي والجانب العسكري، وأدى ذلك إلى تبديد مشروعية النظام العربي من وجهة نظر الرأي العام وبعض الدول العربية، الجانب الثاني : يتصل بتناقضات النظام العربي، وخاصة في مشرقه، وتبلورت سياسات المشرق العربي في صورة تحالفين، الأول يجمع سوريا مع دول الخليج وعلى رأسها السعودية، والثاني يجمع العراق والأردن وفلسطين واليمن.. ومن المرجح أن دول الخليج بعد أن مدت العراق ببعض المساعدات للخروج من حربه مع إيران في صورة المنتصر.. عادت إلى محاولة حصاره وإضعافه كتعبير عن سياسة محافظتها على التوازنات الاستراتيجية والسياسية الجوهرية لأمنها[2].

كل تلك الأسباب أدت إلى قيام العراق بغزو الكويت في الثاني من شهر أغسطس عام ١٩٩٠م، ومنذ اللحظة الأولى لغزو العراق للكويت سارعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى احتكارها في إدارة الأزمة، وفشل النظام العربي في إثبات جدارته بهذه الإدارة، وقد وضح ذلك في استهداف النظام العربي وتجنبه لانفجار الأزمة عن طريق تدخل عدد من الوسطاء العرب كمصر والسعودية، ويبدو أن سبب الفشل هو انعدام الرؤية في كيفية حل الخلاف بين العراق والكويت، سواء بالتدخل العسكري أو مناقشة ودراسة

---

1) هيكل : حرب إلخليج أوهام القوة والنصر، مرجع سابق، ص٣٠٨، انظر أيضاً : السيد ياسين : التقرير الاستراتيجي العربي، ١٩٩٠، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام،ص٣٠.

2) السيد ياسين : المرجع السابق، ص٣١.

عمق الخلاف بين البلدين الجارين، وأثناء مؤتمر القمة العربي الذي عقد في العاشر من أغسطس لحل الأزمة، تسبب التعارض في المواقف في التدخل العسكري الأمريكي في الأزمة، وكان ذلك تحدياً للشرعية الدولية والعربية.

ولم تنجح جامعة الدول العربية في إقناع العراق بالإنسحاب من الكويت وتعين على الكويت والسعودية اللجوء إلى الأمم المتحدة بتحريض أمريكي فأصدر قراراً رقم (٦٦٠) يدين الغزو العراقي للكويت، وطالب بسحب العراق قواته من الكويت فوراً وبلا شرط إلى المواقع التي كانت فيها في أول أغسطس عام ١٩٩٠م، وانقسم العرب إلى فريقين، فريق تبنى الشرعية العربية، وعلى رأس هذا الفريق منظمة التحرير الفلسطينية واليمن والأردن وليبيا، واعتبروا الشرعية الدولية الممثلة في قرارات مجلس الأمن الخاصة بشأن أزمة الخليج هي شرعية الأقوياء، بل إنها شرعية مفروضة من جانب قوة واحدة "هي الولايات المتحدة الأمريكية" وهي التي تحمي إسرائيل وتؤمن استمرار احتلالها غير المشروع لفلسطين، ومن حيث المضمون شرعية تستهدف سلب الوطن العربي كل عوامل القوة، ومنح إسرائيل كل عوامل التفوق والهيمنة.

وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها بجمع قوات عسكرية ضاربة في الخليج والسعودية، وبدأت الصورة تبدو أن التواجد العسكري الأمريكي والأجنبي يحمل قرار الهجوم العسكري على العراق بقصد تدميره بحجة إنقاذ الكويت وتصفية حكام العراق.. فزلزل الضمير القومي والإسلامي معاً، ووجدت السعودية صعوبة بشرعية التواجد الأجنبي على أراضيها، وأقنعت علماءها بقبول ذلك كأمر واقع.. بينما أجمع الفقهاء المسلمون في الدول العربية خارج الخليج ومصر على تحريم هذا الاختيار.

وطرحت اليمن مبادرة في ١٩ أكتوبر ١٩٩٠م تضمنت انسحاب القوات الأجنبية من منطقة الخليج على أن أهم "المبادرات اليمنية" طرحت في سياق مشروع قرار لمجلس الأمن برعاية مجموعة من دول عدم الانحياز تشمل كولومبيا وماليزيا وكوبا يدعو العراق للانسحاب من الكويت وإطلاق سراح الرهائن الأجانب، وعودة الحكومة الشرعية الكويتية، على أن يتلو ذلك مباشرة تشكيل قوة عسكرية من مجلس الأمن للمحافظة على الأمن والاستقرار في الكويت بعد الانسحاب العراقي مع رفع العقوبات الاقتصادية التي فرضها المجلس على العراق، والدعوة لحل كل المشكلات بين العراق والكويت من خلال المفاوضات.. إلا أنه لم يطرح على مجلس الأمن بسبب عدم موافقة الدول دائمة العضوية[1].

ونتيجة لذلك وصفت اليمن كحليف للعراق الأمر الذي أدى إلى معاناتها بسبب الإجراءات الانتقامية السعودية ضدها، وأهمها إلغاء السعودية لامتيازات اليمنيين في أراضيها في ٢٣ سبتمبر وترحيل أعداد كبيرة منهم إلى اليمن.

وبانهيار الدور الدبلوماسي العربي في نزع فتيل الحرب، وإعلان القاهرة ودمشق أن قوتيهما ستشاركان في العمليات العسكرية لتحرير الكويت، من جهة أخرى أعلن الرئيس العراقي في ٦ يناير ١٩٩١م أن ضم الكويت إلى العراق نهائي والكويت هي المحافظة التاسعة عشرة للعراق حاضراً ومستقبلاً[2].

وأعلنت منظمة التحرير في ٢٤ ديسمبر ١٩٩٠م أن المنظمة ستقاتل مع العراق إذا اندلعت الحرب في الخليج وأعلنت اللجنة الوطنية الجزائرية لمساندة

---

1) السيد ياسين : التقرير الاستراتيجي العربي ١٩٩٠، مرجع سابق،ص٢٨٣.

2) نفس المرجع : ص٢٨٩.

الشعب العراقي في ٢٥ ديسمبر أن "٤٠٠ ألف" متطوع جزائري مستعدون للتوجه للعراق، وأعلنت موريتانيا تأييدها الكامل للعراق.

وفي ٨ يناير أعلن الرئيس المصري حسني مبارك بأن مصر لا توافق على تدخل إسرائيل في حالة نشوب حرب في المنطقة وأن إسرائيل إذا تدخلت ستأخذ مصر موقفاً مخالفاً.. وعندما اقترب موعد الانفجار أعلن الرئيس مبارك في ١٣ يناير ١٩٩١م أنه : "يحق لإسرائيل الرد إذا هاجمها العراق"[1].

وفرضت أزمة الخليج تحدياً على جماعة الإخوان المسلمين، وتعين عليهم اتخاذ موقف من الأزمة باعتبارهم أكبر التشكيلات السياسية العربية في موقع المعارضة. ومع اندلاع الحرب انكسر التحالف بين جماعة الإخوان المصرية وجماعات الإخوان الخليج ية، وجسدت أزمة الخليج هذا الانكسار، ووجد التنظيم العالمي للإخوان نفسه أمام استقطاب حاد بين مجموعات مختلفة داخل الرأي العام الإسلامي السياسي، والرأي العام العربي عموماً.

ويمكن القول إن الغالبية الكبرى من الرأي العام الإسلامي السياسي في الوطن العربي وفي أوروبا وأمريكا قد اتخذت موقفاً مقارباً للتوجهات السياسية العراقية أكثر منه لدول الخليج ، مما أغضب دول الخليج والسعودية وأدى ذلك الشرخ بين إخوان الخليج وإخوان الخارج إلى وقف الدعم الخليج ي والسعودي، ويمكن رصد إلخيارات التي كانت أمام التيار الإسلامي الإخواني[2] على النحو الآتي : إلخيار الأول : قبول التنظيم التحالف مع التيار القومي، ومهمته تتركز بتفجير موقف ثوري ضد القوى الغربية الصليبية والنظم الصديقة لها في المجتمعات العربية. وكان هذا إلخيار يحظى بدعم كثير من القوى الإسلامية بمختلف تشكيلاتها عدا إخوان الخليج

---

1) نفس المرجع : ص٢٨٩.

2) النظام العربي وأزمة إلخليج : التقرير الاستراتيجي العربي، ١٩٩٠م، المرجع السابق، ص٣٠٠.

والسعودية.. أما الخيار الثاني : فهو قبول مقترح أنظمة دول الخليج والسعودية، وهي صيغة إدانة العراق وإجباره على الانسحاب من الكويت والاستعانة بقبول القوات الأجنبية "الصليبية" لتحقيق هذا الهدف، كان هذا إلخيار يحمل بين طياته الانقسام بينها وبين قواعد الجماعات الإسلامية في مصر والأردن والسودان.. أما الخيار الثالث: فيرى رفض فكرة التحالف مع العراق ورفض الموافقة لاستدعاء قوات أجنبية لحماية دول الخليج والسعودية، وينكر شرعية الغزو العراقي للكويت ويطالب بانسحاب القوات العراقية من الكويت، والمطالبة الفورية بانسحاب القوات الأجنبية من السعودية والخليج وإحلال قوات عربية بديلة.. وهذا الخيار ينسجم مع التوجهات المعتدلة من جماعة الإخوان، ولكنه لا يرضي الأطراف الأخرى.. إلا أن مطلب الإخوان بانسحاب القوات الأجنبية كان غير مقبول لدى الساسة بدول الخليج والسعودية مما جعل كلفة هذا المطلب اقتراب جماعة المعتدلين نحو العراق.

وظهر موقف الحكومات واضحاً بعد فشل وفد "الوساطة الإسلامية" الذي شكله الإخوان المسلمون في سبتمبر ووجه له نقد على أنه يفتقر إلى الحياد[1]، وارتكز اجتهاد بعض الشخصيات الدينية في السعودية، ودول الخليج إلى تأكيد شرعية الاستعانة بالقوات الأجنبية إلى فكرة الضرورة

---

1) د. إسماعيل الشطر : صوت الكويت [عدد٢/٧/١٩٩١م] (أبرز رجال الإخوان المسلمين في الكويت)، رداً على تصريحات للمرشد العام للإخوان المسلمين أدلى به لجريدة "المسلمون" في ١٩٩١/٦/٢١م أن الإخوان الكويتيين قد جمدوا عضويتهم في التنظيم الدولي للإخوان المسلمين للأسباب التالية:

مساندة الباغي، حيث استنكر الكويتيون فكرة الوساطة واعتبروا أن ما قام به العراق تعدي مرحلة الاقتتال بين طائفتين من المؤمنين، وأن ما حدث هو بغي على الكويتيين يجب محاربته.

ضعف التنظيم الدولي، وعدم قدرته على إلزام التنظيمات القطرية بالموقف الذي أعلنه.

إسقاط الإخوان الكويتيين من حسابات التنظيم العالمي وعدم مساعدتهم رغم أن إلخليج كان المال الرئيسي للتنظيم العالمي.

ومبدأ المصالح المرسلة بالنسبة لما هو في الأصل محظور ؛ أي الاستعانة "بالمشركين" وأصدرت هيئة كبار العلماء في السعودية بياناً في ١٣ أغسطس وضح فيه حكم الشرع في ذلك. وأكد البيان على فتوى مجلس كبار العلماء يؤيد ما اتخذه ولي الأمر من استقدام قوات أجنبية لرد عدوان العراق، وهو واجب تمليه الضرورة في الظروف الحاضرة، ويحتمه الواقع المؤلم وقواعد الشريعة وأدلتها توجب على ولي الأمر من المسلمين الاستعانة بمن تتوفر فيه القدرة وحصول المقصود، لذلك أعلن "الشيخ عبدالعزيز بن باز" الرئيس العام لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في السعودية " أن استعانة السعودية بالجيوش المتعددة الجنسيات لصد العدوان والدفاع عن البلاد هو أمر جائز تحكمه الضرورة"[1].

وبعد شد وجذب بين الأمم المتحدة والعراق، أقرت الدول المتعددة الجنسيات وأبرزها أمريكا وبريطانيا القيام بضرب العراق وتدميره، وإسقاط النظام.. وتم التدمير ولم يسقط النظام، فكان ذلك سبباً لاستمرار العقوبات الظالمة على العراق والشعب العراقي واستمرت " إثنا عشر عاماً (١٩٩١ـ٢٠٠٣م.. ثم عادت أمريكا وبريطانيا بدون غطاء شرعي من الأمم المتحدة بضرب العراق، وإسقاط النظام.. وكانت تلك الأزمة الثالثة، وبسقوط النظام العراقي سقطت أقنعة الأنظمة العربية.. وبانت سيئاتها وأصبحت كالببغاء تردد ما تقوله أمريكا وما تراه أمريكا.. وهكذا انزلقت المنظومة العربية إلى الوحل.

إن الأزمة صنعت بأيد أمريكية بريطانية استخبارية، وكانت العراق هي بيت القصيد فتم تدميرها ونهبها مرتين.. إلا أن المرة الأخيرة أكلت المنظومة الصهيونية العالمية الأخضر واليابس في العراق.. وتلمس العراقيون طريقهم

---

1) التقرير الاستراتيجي العربي، ١٩٩٠م، مرجع سابق،ص٣٠٣.

فوجدوها قد ملئت حرساً وشهبا.. وكان أمامهم خياران لا ثالث لهما.. الأول الاستسلام للأمر الواقع دون قيد أو شرط.. إلخيار الثاني : هو المقاومة حتى النصر أو الشهادة وتم إقرار الخيار الأخير.

وأصبح للحركة الإسلامية مشروع سياسي جديد هو نبذ الخلاف الفقهي مع الشيعة، وتوحيد الكلمة وكونت جبهة عريضة من السنة والشيعة.. وألح عليهم النضال المسلح إلحاحاً ضد قوى الصهيونية الأمريكية والبريطانية.

ورغم موجات الشهداء التي تتلقى رصاص وقذائف الاحتلال.. إلا أن روح المقاومة الاستشهادية تزيد عتواً ونفوراً حتى النصر.

التحالف الاستراتيجي الأوروبي في مواجهة الإسلام:

أراد الله للمسلمين في العالم أن يدفعوا فاتورة التفوق العلمي والحضاري في العصور الوسطى، عندما كانت وجهتهم الدفاع عن شريعة التفوق العقلي.. يجيب رئيس الصرب على من يطلبون منه الكف عن إبادة المسلمين في البوسنة عام ١٩٩٢م بأنه يحارب عن أوروبا خطر الإسلام القادم من الصحوة الإسلامية في جميع الأقطار الإسلامية، خاصة في إيران، ومصر، والسودان، وشمال أفريقيا.. مذكراً إياهم "بفتح المسلمين لأقطار أوروبا الشرقية والجنوبية على يد الدولة العثمانية التي طرقت جيوشها أبواب فيينا وباريس، مذكراً قومه بالحقبة التي دانت الدنيا فيها لمجد الإسلام على يد آل عثمان"[1].

ويتساءل أحد الباحثين[2] كيف يكون في وسع الإسلام اليوم أن يلعب في بناء المشروع الحضاري العربي المأمول الدور نفسه الذي لعبه في الماضي في بناء

---

1) محمد متولي عوض : أنوب عن أوربا في مواجهة الإسلام القادم، الشعب – صحيفة أسبوعية مصرية – ٤ سبتمبر ١٩٩٢م، ص٨.

2) د. سعيد بن سعيد العلوي : الإسلام والمشروع الحضاري العربي، الشرق الأوسط، الخميس ١٩٩٣/٧/١م، العدد [٥٣٢٩]، ص٨.

الحضارة العربية في عصورها الزاهية؟ أو كيف يكون للإسلام في الوقت الراهن أن يقوم بدور الإسهام الإيجابي في بناء الحضارة الإنسانية الشمولية في الأزمة المعاصرة وليس بدور العامل الفاعل في بناء الحضارة العربية؟

ويجيب السائل على سؤاله : بأن الإسلام اليوم في ظل الشروط العالمية التي تحف به وبإزاء المتغيرات الدولية التي يشهدها العالم في العقد الحالي، والتي تقيم للإسلام اعتباراً جلياً هو مادة اتهام كثير له وموضع هجوم عليه فكيف يتأتى له أن يقوم بعمل إسهام حضاري ما أو أن يكون له مكان ودور في بناء الصرح الحضاري الإنساني المعاصر؟

ويشترك الباحث في هذه الرؤى باعتبار المفكرين العرب النهضويين في القرن التاسع عشر الميلادي، ومطلع القرن العشرين وخلال العقود الأولى منه نفترض أنهم كانوا يتساءلون، ما إذا كان في مقدور الإسلام أن يتوافق مع ما يشهده العالم من تحولات فكرية ونشاط ثقافي ومن أشكال التبدل الحضاري، وأن يواكب ما يحدث من تطور صناعي وتقدم علمي، وتغير في أنماط الوجود السياسي والاجتماعي، وكان رجال الإصلاح في الماضي خاضوا معارك دفاعية عنيفة للتدليل على صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، وحمل الناس على التمييز بين حال المسلمين وواقعهم اليوم، وطبيعة الإسلام من جهة أخرى.

والمفارقة بين رجال القرن الماضي في العشرينات والثلاثينات منه، واليوم هي مفارقات في الجوانب الاقتصادية والمتغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية، التي تفصل في مفارقات تاريخية بين الأمس واليوم، فصورة الإسلام في الوعي الثقافي الأوروبي، وهذه الصورة لها قوة أيديولوجية، ولها صفات العنف والميل إلى الاعتداء والتعصب، ورفض الحوار مع الآخر، وهذا المفهوم القائم للذاكرة الغربية عن دور التيارات الإسلامية سواء المعتدلة منها أو المتشددة، وإن كان التوجه الغربي قائماً على تسويق مفاهيمه السياسية

كالديمقراطية والعولمة، والمطلوب قبول تلك الأفكار بكل خصائصها بغض النظر عما يمكن قبوله ورفض ما لا يمكن ملاءمته مع خصوصيات مجتمعاتنا.

وبدأ أنصار التوجه الغربي يطالبون بقبول الثقافة الغربية بكل مساوئها ومحاسنها أو رفضها كلياً، ويعد ذلك عملاً عدائياً للغرب.. وإذن كيف نتصور المشروع الإسلامي في إطار الضغوط الأوروبية والأنظمة العربية الموالية للغرب؟.. يمكن القول إن الفلسفة الغربية والأمريكية والصهيونية العالمية تعمل على تجذير كامل للعلاقات بين الأنا والآخر بين الاستعلاء الأوروبي الأمريكي الصهيوني والمستهلك العربي والإسلامي.. والمطلوب منا أن نتقبل كل ما ينتجه الغرب، لكن غير مقبول مطلقاً لكل الدول الإسلامية والعربية أن تقوم بإنتاج تكنولوجيا عربية أو محاولة تصنيع حاجيات ضرورية كالأدوية وغيرها.. فالاتجاه الصهيوني الأوروبي والأمريكي يعدون ذلك عملاً إرهابياً وما قضية مصنع الأدوية بالسودان منها ببعيد.. ولكن هل الإسلام السياسي يهدد الديمقراطية؟

تشير إحدى الدراسات التي أعدها مقرر لجنة الشؤون المدنية (Civil affairs) في حلف الأطلنطي "مايو ١٩٩٣م" إلى أن العمل الإسلامي يحتاج إلى تجديد وفقاً لمبدأ العودة إلى الثوابت الإسلامية القائمة على أساس القرآن الكريم والسنة النبوية، فالرد على ذلك يتم وفقاً للمفهوم الغربي، على أية حكومة تدعو إلى الجهاد أو الحرب المقدسة بهدف اقتلاع القيم الغربية من جذورها غير مقبولة لأوروبا وأمريكا الشمالية.

من ناحية أخرى ليست كل مبادئ الشريعة ضارة أو بربرية.. كما تفترض ذلك الآراء الأوروبية، على العكس فإن القانون الإسلامي يركز كثيراً على الفضائل الفردية التي يمتدحها المسيحيون كثيراً مثل : الصدق، والكرم، والنزاهة الأخلاقية، وما شاكل ذلك.. وبقدر ما يحاول الإسلاميون

نقل هذه القيم إلى المستوى الاجتماعي من خلال محاربة الرشوة ومساعدة الفقراء، ومعالجة المظالم الاجتماعية..إلخ. فإنه يمكن النظر بشكل إيجابي إلى نشاطاتهم.

إن بعض مبادئ الشريعة مثل الأحوال الشخصية للمرأة لا تبدو متسقة تماماً مع المعايير الدولية لحقوق الإنسان، وفي هذا الصدد فإن العودة إلى أنماط من الإسلام أقل حدة في التعبير، ولكنها أشد صرامة أخلاقياً يمكن أن تصاحبها ردة بالمقارنة مع الموقف السابق الأكثر ليبرالية للحركات الأكثر ثورية من الناحية السياسية.. وتمثلت استجابة الحلف في القبول غير المعلن بقمع الحكومات للحركات الإسلامية.. فعندما نكث الرئيس التونسي بن علي بوعده في إقامة ديمقراطية متعددة الأحزاب، ورفض طلب حزب النهضة بأن يصبح حزباً سياسياً رسمياً. لم يصدر رد فعل من الحكومات الغربية، وعندما سحق الجيش العملية الديمقراطية الناشئة في الجزائر حين بدا الانتصار الإسلامي في الانتخابات العامة وشيكاً لم تصدر حتى همهمة عدم الرضا، فضلاً عن الغضب من الغرب، وتلقت الجزائر (١٤٥٠ مليون دولار) من البنوك الغربية لمساعدتها على خدمة دينها[1].

وعلى الرغم مما قيل في هذه الوثيقة سواء صدقت الصحيفة الناشرة لهذه المعلومات أو أخطأت فإن ما جاء فيها تؤكده تصريحات الرئيس الأمريكي الابن "بوش" بعد أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١م والتي أعلن صراحة بأنها حرب صليبية جديدة، مهدداً بذلك كل التيارات الإسلامية المتطرفة منها والمعتدلة وعلى أنها تيارات إرهابية.

لقد كان للاستعمار الأوروبي دورٌ كبير في تفكيك العالم الإسلامي، كما أعيد تسمية الأجزاء منها وترتيبها حتى لا يكون المسلمون هم القوة

---

1) الشعب [يصدرها حزب العمل المصري] ١٦ محرم ١٤١٤هـ (٦يوليو١٩٩٣م)، العدد (٧٥٥)،ص٧.

الوحيدة فيها، بل ربما زراعة قوة داخلهم لإضعافهم، فلم يعد هناك عالم عربي، رغم وجود جامعة تحمل اسم الدول العربية، وأصبح هناك رغبة لدى بعض البرجماتيين من المثقفين العرب بتسمية جديدة للمنطقة تخدم الأغراض الاستعمارية والصهيونية هي "شرق أوسط" فيه عرب، ويهود، وأكراد، وفرس، وأتراك، وغيرهم.

وهناك "شمال أفريقيا" للتأكيد على المصطلحات الباردة، والمحايدة، التي لا تحمل أي مضامين تاريخية أو معتقدية[1].

وبدأت القوى الكبرى تسعى جاهدة لتجهيز هذا المفهوم السياسي، وإقصاء المعتقدات الإسلامية على وجه إلخصوص، وتحديداً بعد حوادث "سبتمبر٢٠٠١م" وبدأ العمل على الربط بين الإرهاب والتشدد والعنف السياسي والإسلام، والعودة إلى الماضي في صيرورة أوروبية أمريكية صهيونية للعداء للإسلام تحت مظلة الإرهاب.

وكرست أجهزة ووسائل الإعلام الغربية جهودها لتشويه صورة الواقع الإسلامي وخاصة مسألة مناهج التربية والتعليم، مما أثار قلقاً لدى الدول العربية بوجه خاص، وبدأت تستقدم خبراء أجانب لإعادة النظر في المسألة التربوية، وولد شعوراً لدى المثقفين بأن هناك خللاً منهجياً في التربية الإسلامية والمسلمين، وأصبحت تعاليم القرآن الكريم ذاتها محرضة على العنف والكراهية في تصور وسائل الإعلام الأوروبية.. وقدمت هذه الصورة منظوراً تربوياً يجب برمجته ومنهجته للعمل به في بلداننا العربية. ونوقشت هذه الأطروحات في وسائلنا الإعلامية متوخية الأخطاء في مناهجنا التربوية، ومتبنية معالجتها وفقاً للمنظور الغربي.

---

1) أبو بكر باقادر: الرؤية المتبادلة بين الإسلام والغرب من زاوية إناسية، شئون الأوسط، [مجلة فصلية متخصصة]، خريف ٢٠٠٢م، عدد (١٠٨)، مركز الدراسات الاستراتيجية، لبنان، ص٤٥.

وأي عمل لمقاومة هذه الأفكار يعد عملاً إرهابياً، ولذلك نلاحظ أن سياسات انتهاك حقوق المسلمين وتخريب أوطانهم، ونهب ممتلكاتهم كما حدث في العراق ويحدث يومياً في فلسطين عمل مقبول تحت ذريعة محاربة الإرهاب وتهديداً للحركة الصهيونية العالمية التي تحمل يافطة محاربة التطرف الإسلامي الذي يعمل على استعادة القدس وفلسطين، كل ذلك كان جديراً بأن تبرز تيارات غيوره على مجدها وتاريخها وكينونتها وتعمل على وقف هذا التغيير في أراضيها مما جعل الطرف الآخر يتبنى مشروعاً تشترك في تنفيذه قيادات سياسية وتنظيمية موالية للغرب في محاربة المد الإسلامي سواء عن طريق اختراقهم وإيجاد مفاهيم سياسية داخل الجماعات الإسلامية من أجل تحويل الصراع مع بعضهم البعض.

كما اتجهت الأطروحات الغربية نحو ضرورة تغليب المفاهيم السياسية الغربية والتركيز على الجانب الاقتصادي لتسويق منتجاتهم..ومن هنا برز مفهوم العولمة.

وتطلب ذلك البحث عن معرفة أسباب مأزقهم وهي عملية مازالت مستمرة، وكانت نتيجة هذا البحث نشوء مدرستين فكريتين أكدت إحداها أن الإسلام مصدر مشاكله الخاصة والحل هو الأخذ بالمناهج الغربية وأتباع هذه المدرسة هم ممن تعلموا في أوروبا أن الإسلام الهزيل كان نتاج القائمين عليه أي الفقهاء لأنهم تعاونوا مع المؤسسات السياسية الإسلامية غير المؤهلة وغير الكفوءة والفاسدة، مما أتاح الفرصة للهيمنة الأجنبية التغلغل داخل بلدانهم، واعتقد أنصار هذه المدرسة الفكرية أن التقدم العلمي الذي عزز القوة الاقتصادية والسياسية للغرب كان نتيجة انتصار التفكير العقلاني ومنهج التحليل، ولذلك رأت هذه المدرسة صياغة مشروع يقوم على إحياء الفكر الثقافي وتقاليد ما قبل الإسلام، ووجد توجه نصير لهذا المشروع تمثل بالنزعة العرقية الإقليمية كالفرعونية بمصر والآشورية، والفينيقية في

بلاد الرافدين، لذلك يحتاج المسلمون إلى محاكاة الغرب وبشكل أكثر تحديداً، محاكاة علمانيته وحكوماته الدستورية وحكم القانون ونمط التفكير العقلاني والمنهج العلمي في البحث[1].

أما المدرسة الثانية فهي ترى أن الإسلام ليس المتهم وأن العودة للإسلام هي الحل، وأن الانسلاخ عن المبادئ الإسلامية كان سبب الانحطاط الإسلامي، وكان لاختراق الغرب لعالمنا الإسلامي دورٌ في تفتته وابتعاده عن الإسلام، والحل لذلك يكون في تطبيق الأحكام والمبادئ الشرعية والإسلامية، وانسلخ من هذه المدرسة مجموعتان، الأولى : سلفية تقليدية تريد تطبيق الأحكام كما نص عليها الكتاب والسنة دون الرجوع للفقهاء المختصين والذين كان لهم باع كبيرٌ في الاجتهاد بما ليس فيه نص، مما يسر مفهوم الإسلام.. أما الجماعة الأخرى ففسرت الإسلام بطريقة عقلانية، واختلفت مفاهيمهم.

يرى مؤسس حركة باكستان في الهند "محمد إقبال" أن مبدأ الإجماع يعادل الشكل الإسلامي الديمقراطي، كما يرى "شهاب الدين مرجاني" أن الإسلام عندما تخلى عن "العقائدية الضيقة وظلامية اللاهوت التقليدي، أصبح متوافقاً بشكل تام مع العلم الحديث"[2].

---

1) شيرين هنتر : الحركة الإسلامية وأبعادها المعادية للغرب، شئون الوسط، عدد(١٠٨)، خريف، ٢٠٠٢م، مركز الدراسات الاستراتيجية، لبنان،ص٥٧.

2) شيرين هنتر : الحركة الإسلامية وأبعادها المعادية للغرب ، مرجع سابق،ص٥٨.

تصادم العقل الوافد مع الواقع الإسلامي:

في تركيا حاول (كمال أتاتورك) اقتلاع الإسلام من تركيا تأثراً بالفكر الأوروبي.. وفي السبعينات من القرن الماضي ظهر الإسلام كقوة سياسية تقارع النفوذ المتنامي لليسار، وخلال الثمانينات من القرن الماضي شجعت الحكومة التركية التوجه الإسلامي كسلاح ضد القوى اليسارية، وأفضى ذلك الأمر إلى زيادة حدة الإزدواجية الثقافية الموجودة أصلاً في المجتمع التركي المنقسم إلى تيارين علماني وإسلامي. ومع مطلع عام ١٩٧٩م بعد الثورة الإسلامية الإيرانية بدأ العلمانيون الأتراك يعزفون على وتر أتاتورك الذي يعتبرون أنفسهم حراساً لإرثه.

ففي شباط من عام ١٩٧٩م حذر الجيش التركي رئيس الوزراء التركي من الإنحراف عن طريق العلمانية، كما أمر بإغلاق المدارس الإسلامية والالتزام بصرامة بالزي الغربي.. وعندما قاوم رئيس الوزراء "نجم الدين أربكان" الضغوط العسكرية أجبر على التنحي عن السلطة. وكانت الصورة للوطن العربي والإسلامي تعطي انطباعاً سياسياً بأن الأنظمة التي حكمتها حتى اليوم استبدادية، وشاركت الأنظمة الغربية في بناء هذه السياسة واحتلال عقولنا.

وانطلاقاً من مسلمة أساسية مفهومها أن "احتلال العقل أشق بمراحل من احتلال الأرض" فالذي يملك هذه الأرض بإمكانه أن يقاتل حتى يحصل على أرضه أو يموت دونها، أما إذا ما امتلك عقله ـ الذي يرسم له خطط القتال ـ سهلت السيطرة عليه.

لذلك بدأت الدول الغربية الأوروبية والأمريكية خصوصاً تخطط لعملية تحكم واسعة النطاق في العقل السياسي والثقافي العربي، مستخدمة خبرتها

الاستعمارية.. وبدأت تجدد سيطرتها من خلال منظومة تكنولوجية ذكية، فماذا حدث؟

عندما أصبح العلم إدارة استثمارية وإشباع حاجات تماماً كالسلعة، فقد وظف العلم لخدمة أهداف سياسية واجتماعية، واقتصادية، وأصبح يمثل عائداً نفعياً.

لذلك نلاحظ أن جملة ما أنفقته مثلاً وزارة الدفاع الأمريكية على البحوث العلمية المختلفة في عام ١٩٨١م بلغ "١٧ مليار دولار" حوالي ١٠٪ من ميزانية الدفاع الكلية والتي بلغت "١٦٠مليار دولار" أيضاً مخصصات البحث العلمي للبنتاجون ارتفعت بمقدار ٢٠٪ خلال عام واحد هو عام ١٩٨١/٨٠م، وفي عام ١٩٨٧م وصلت إلى حوالي ٣٠٪.

وتضيف المعلومات إلى أن وكالة المخابرات الأمريكية كانت خلف إنشاء العديد من الجامعات في دول العالم الثالث واستمرارها مثل كلية "مكوبي الدولية" في زامبيا، وبعض جامعات "إكوادور" و"أرجواي" و"المكسيك" والجامعة الأمريكية بأنقره، والقاهرة، وبيروت[1].

أضف إلى ذلك أن التخطيط الاستراتيجي الأوروبي والأمريكي من أجل السيطرة على العقل العربي والعالم الثالث تم استخدام ركائز هامة للانطلاق من خلال مؤسسات تنشط في بلداننا[2]، وهي –مؤسسة "فورد فونيش" تعمل منذ عام ١٩٥٢م ـ مؤسسة "روكفلر" وتعمل منذ الحرب العالمية الثانية ـ مؤسسة رائد وهي قديمة نسبياً، إلا أن نشاطها برز في السبعينات من القرن الماضي في مجال الدراسات الإسلامية والفلسفية.

---

1) د. رفعت سيد أحمد : احتلال العقل، مجلة العربي، العدد ٣٩٧ – ديسمبر ١٩٩١م.

2) رفعت سيد أحمد : المرجع السابق.

مجلس أبحاث العلوم الاجتماعية، ولجنة الشرق الأدنى، والأوسط المنبثقة عن المجلس وهو يعمل في المنطقة منذ منتصف الستينات.

جماعة أبحاث جورج تاون التي قامت فقط في نوفمبر ١٩٨٥م وكنموذج لنشاطها بعمل مسح شامل في اثنتي عشرة قرية مصرية بالاشتراك مع كلية الآداب بجامعة الزقازيق.

وكالة التنمية الأمريكية ويذكر أنها رصدت خلال عامي ١٩٨٢/٨١م للبحوث المشتركة بين مصر وإسرائيل في مجال البحوث الميدانية الزراعية مبلغ (١٥ مليون دولار).

مركز "هارفارد" للشئوون الدولية، ومركز "برنستون" للدراسات الدولية، ومركز "شيكاغو" لدراسة السياسية الخارج ية والعسكرية، ومعهد "بيركلي" للدراسات الدولية، وجميعها ترتبط عملياً ومالياً بوكالة المخابرات الأمريكية.

مؤسسة "فريدرش إيبرت" و"فريدرش نومن" الألمانيتان اللتان تربطهما وشائج قوية ببعض مراكز البحوث في مصر ودول الشرق العربي.

المركز الأكاديمي "الإسرائيلي بالقاهرة" وهو يقوم بدور خطير في مجال اختراق العقل المصري والعربي، وقد أسس عام ١٩٨٢م عقب اتفاقية كامب ديفيد، وتولى رئاسته كل من "شيمون شامير" ثم "جبرائيل واربورج" ويتبعان المخابرات الإسرائيلية "الموساد".. يقوم هذا المركز ببحث في الأصول العرقية للمجتمع المصري، وفي كيفية تفتيت مصر طائفياً، وفي الوحدة الثقافية والعقائدية بين اليهودية والإسلام، وفي الشعر العربي الحديث، وقضايا التعليم، والزراعة، والميكنة الزراعية، واستصلاح الأراضي، وفي توزيع الدخل، وحياة البدو والبربر، وكيفية السيطرة عليهم، وفي تأثير السلام على العقل العربي، وغيرها من الأبحاث المهمة.

كما قامت إسرائيل ببعض الأبحاث المهمة في مصر من خلال المركز الثقافي الأمريكي بواسطة اليهودي الأمريكي الشهير "ليونارد بايندر" وهي أبحاث حول (رؤى الصراع العربي الصهيوني) والجماعات الإسلامية في مصر.

ومن الأبحاث الأخرى المهمة التي قامت بها المؤسسات الأمريكية في الوطن العربي (الصراع بين التيارات العلمانية والتيارات السلفية)، و(التغير الاجتماعي في بلدان الشرق الأوسط) و(النظرية السياسية الإسلامية) و(العلاقات المدنية العسكرية في الوطن العربي) و(القومية الفلسطينية) و(التنبؤ بحركات التمرد في المنطقة العربية) و(المؤثرات في الأقليات بالوطن العربي) و(المهام السياسية للصفوة العسكرية العربية) و(مسار المنطقة العربية ومدى تأثرها بالتغيرات) و(المثقفون والوطن العربي الحديث) و أبحاث أخرى كثيرة.

ألم يكن هذا الجهد الأوروبي والأمريكي الصهيوني الذي يبذلونه من خلال مراكزهم الثقافية واختراقهم مؤسساتنا العلمية من خلال البحوث المشار إليها سابقاً مدعاة للكراهية نحو الغرب.

تشير إحدى الدراسات الجادة[1] إلى أن قلق الغرب ينبع من كون الإسلاميين يختزنون مشاعر معادية للغرب وتحديداً الولايات المتحدة الأمريكية، فالأطروحات الإسلامية ترى أنه إذا كان العداء للغرب يعود إلى أسباب لا دينية بمعنى تتعلق بشئون الحياة والنظام فإن التسوية والتعايش يمكن ترجيحه، أما إذا كانت راجعة إلى الخصائص الذاتية للإسلام أو إلى الأحقاد التاريخية الصليبية فإن فرص صدام الإسلام مع الغرب تصبح أقوى وتفاديها أصعب.

---

1) شيرين هنتر : الحركة الإسلامية وأبعادها المعادية للغرب، مرجع سابق،ص٨٥.

ومع ذلك لم يكن المنظور التاريخي في العلاقات العربية الإسلامية مع أوروبا هو استياء البلدان التي خضعت للاستعمار الأوروبي من الهيمنة الغربية وشعورهم بالمعاملة الجائرة، لذا رغب الإسلاميون في تغيير ميزان القوة.

فعصر المعلومات والثورة الإعلامية والتكنولوجية على المجتمعات المختلفة وعلى الأخص بلداننا العربية، وإذا كان اكتشاف الآلة مسئولاً عن انتقال المجتمع الزراعي إلى المجتمع الصناعي، فالفضل يعود إلى الثورة العلمية والتكنولوجية في انتقال المجتمع الصناعي إلى عصر العولمة، وجعل الكرة الأرضية قرية كونية معرفية واحدة.

وفي هذا العالم أو المعولم يتقلص الزمن وتتلاشى المسافات، وتنتقل رؤوس الأموال والسلع والمعلومات والمفاهيم والأفكار والأخبار، وبحرية تامة وبدون حدود وطنية[1].

ويضيف المفكر أحمد كمال أبو المجد[2] إلى أنه بعد قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م لجأت الدعاية الصهيونية داخل شعوب الغرب إلى إثارة فكرة "الميراث اليهودي المسيحي المشترك، توصلت به إلى ضمان انحياز الغرب شعورياً وعقائدياً، ومن ثم سياسياً وعملياً إلى جانب الدولة اليهودية في صراعها مع العرب والمسلمين.

وكان من ثمرات نجاح هذه الفكرة انحياز الغرب شعورياً وسياسياً إلى إسرائيل مما أثر ذلك على مسار الصراع السياسي بين العرب واسرائيل، وفي خضم هذا الانحياز تعاطفت الكنائس المسيحية في أمريكا الشمالية وأعلنت التبشير بالصهيونية المسيحية.

---

1) د. سليمان إبراهيم العسكري : إعلام العولمة، مجلة العربي، العدد (٥١٧)، ديسمبر ٢٠٠١م.

2) د. أحمد كمال أبو المجد : المسلمون والنظام العالمي المتغير، العربي (العدد٣٩٩)، فبراير ١٩٩٢م.

وعلى الجانب الإسلامي فإن ملابسات الصراع الحضاري والسياسي قد حملت معها إحساساً قوياً بالخطر الذي يتهدد الهوية الإسلامية، كما يتهدد العناصر الأساسية للوجود الحضاري والتميز الثقافي لأمة المسلمين والذي استقر لدى كثير من المسلمين إحساس قوي بالاختلاف الجذري باستحالة اللقاء مع الآخرين...

خلاصة القول : للصهيونية العالمية دور مهم بحيث جعلت من دولة إسرائيل مصدر المعلومات عن الأقطار العربية والبلاد الإسلامية المجاورة لها، ومن خلال "مركز شيلوح لدراسات الشرق الأوسط وأفريقيا –التابع لجامعة تل أبيب- ويقوم هذا المركز بإعداد الدراسات والبحوث، تقدم لأجهزة الأمن الأوروبية والأمريكية.. كما تعمل أجهزة الاستخبارات الصهيونية والأوروبية والأمريكية على تنشيط وإحياء فكرة هذه الأقليات كالإسماعيلية، واليزيدية، والعلوية ـ النصيرية ـ والدرزية، وأيضاً الفرق الصابئة.. وكل ذلك من أجل إسقاط القضايا الشرعية داخل مربع الأحداث النشطة كإيران، والعراق، ولبنان، وسوريا، وأدرجت السعودية واليمن أخيراً.

وكان الاتحاد السوفييتي الذي تزعم معسكر أوروبا الشرقية، وتبنى نظاماً اشتراكياً شيوعياً، وأخفقت التجربة الاقتصادية السوفياتية في تحقيق الرفاهية للشعب بسبب ضخامة الاستثمارات العسكرية، وكان لا بد أن تنهار المنظومة الاشتراكية كلها.

وفي أواخر السبعينات لعب السوفيت دوراً كبيراً في أفغانستان وبدأ الصراع بين الأمريكيين والروس على أرض أفغانستان، وجندت الولايات المتحدة الأمريكية كل إمكانياتها بما في ذلك فرضت على أحلافها العرب السير في ركابها بدعم عسكري من خلال تجنيد متطوعين من السعودية ومصر، واليمن، والأردن، لمواجهة الغزو الشيوعي بأفغانستان، وتم تدريبهم على أيدي خبراء أمريكيين، وبرزت إلى الساحة مفاهيم إعلامية موجهة

وغريبة على الفكر المعاصر، والفكر الإسلامي بوجه خاص.. وهزمت روسيا وانسحب الجيش السوفيتي من أفغانستان، ظهر فيما بعد الحرب قضية "عرب الأفغان" ودارت الدائرة عليهم من قبل الأمريكان وعملائهم الحكام العرب، وأصبحوا يشكلون نموذجاً عدوانياً للسياسة الأمريكية الاستعمارية التوسعية.

وكان البديل للحزب الشيوعي بأفغانستان تياراً إسلامياً عرف بجماعة "الطالبان" وهم جماعة من الشباب الذين كانوا يتلقون العلوم الإسلامية في باكستان.

وبوصول "غورباتشوف" إلى رئاسة الدولة الروسية بدأ العد التنازلي للنظام الشيوعي في أوروبا الشرقية كلها، من خلال مشروعه السياسي المتمثل بالبيروستريكا ـ إعادة البناء ـ وتنازلت موسكو عن مبدأ بريجنيف الذي كان يحكم القبضة السوفيتية على أوروبا الشرقية، ومنحت روسيا من قبل أمريكا صفة مراقب في منظمة الجات مقابل ذلك وافق "غورباتشوف على هجرة اليهود إلى إسرائيل".

وبعد نجاح الثورة الإيرانية تفجر موقف حدودي بين إيران والعراق، ودارت الحرب رحاها لمدة ثماني سنوات (١٩٨٠- ١٩٨٨م) وتلتها الحرب (العراقية – الكويتية) من ١٩٩٠- ١٩٩٢م، وفرضت أزمة الخليج تحدياً على جماعة الإخوان المسلمين، وتعين عليهم اتخاذ موقف من الأزمة باعتبارهم أكبر التشكيلات السياسية العربية في موقع المعارضة.

ومع اندلاع الحرب انكسر التحالف بين جماعة الإخوان المصرية وجماعة الإخوان الخليج ية وجسدت أزمة الخليج هذا الانكسار.

ويمكن القول إن الغالبية الكبرى من الرأي العام الإسلامي السياسي في الوطن العربي وفي أوروبا وأمريكا قد اتخذت موقفاً مقارباً للتوجهات السياسية العراقية أكثر منه لدول الخليج .

وأصدرت هيئة كبار العلماء في السعودية بياناً في ١٣ أغسطس ١٩٩٠م وضح فيه حكم الشرع في القوات المتعددة الجنسية، من ثم تم ضرب العراق وتدميره وإسقاط النظام.. ولم يسقط النظام، ولذلك استمرت العقوبات على العراق وحصارها من عام "١٩٩١- ٢٠٠٣" مدة إثني عشر عاماً، ثم عادت أمريكا وبريطانيا بدون غطاء شرعي من الأمم المتحدة بضرب العراق وإسقاط النظام.. وهي الأزمة الثالثة، وبسقوط النظام العراقي سقطت الأنظمة العربية أسيرة النظام الأمريكي.

وتشير بعض الدراسات الأوروبية إلى أن العمل الإسلامي يحتاج إلى تجديد وفقاً لمبدأ العودة إلى الثوابت الإسلامية القائمة على أساس القرآن الكريم والسنة النبوية، والرد على ذلك يتم وفقاً للمفهوم الغربي على أن أية حكومة إسلامية تدعو إلى الجهاد أو الحرب المقدسة بهدف اقتلاع القيم الغربية من جذورها غير مقبولة لأوروبا وأمريكا الشمالية.. واتجهت الأطروحات الغربية إلى ضرورة تغليب المفاهيم السياسية الغربية، والتركيز على الجانب الاقتصادي لتسويق منتجاتهم.

وبرزت إلى الساحة موجة من مفهوم فكري يقوم على تفوق العقل الأوروبي من خلال مؤسسات أكاديمية تبنتها المخابرات الأمريكية في العالم الإسلامي والعربي. كما قامت إسرائيل بافتتاح مركز أكاديمي بالقاهرة عام ١٩٨٢م ليحقق أهدافاً استخبارية داخل مصر كلها.

وكان على التيار الإسلامي أن يتبنى مسألة الدفاع عن الإسلام بأية صورة ممكنة، ولو أدى ذلك إلى تبني سياسة العنف ضد الأجانب الأوروبيين أو من يروج للفكر الغربي من المسلمين.. ومن هذا المنطلق بدأ الخلاف بين الجماعات الإسلامية بعضها ببعض حول قضايا عديدة وهامة. وسوف يناقش الفصل التالي فلسفة التباين والرؤى الفكرية في مفاهيم الديمقراطية والشورى...